



د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت [illegible]

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود ! !

وفى هـذا الزمن الذى طغت فيـه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهـذا النـوع من الحب .. نحتـاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرِّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ــ البداية ..

خفق قلب (مروة) . وتراقص بين ضلوعها فى سعادة ولهفة ، وهى تعبُر باب شركة (نوَّار) للدعاية والإعلان ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة تفيض رقَّة وعذوبة وجاذبية ، وهى تسـأل سكـرتيرة الشركة فى صـوت رقيق متلاحق الكلمات ، يشفُّ عن بساطة صاحبته ، وحسِّها المرهف :

ــ صباح الخير يا (عزة) .. أأجد (مؤنس) فى مكتبه ؟

منحتها السكرتيرة (عزة) ابتسامة كبيرة ، وهى تقول :

ــ نعم .. إنه ينتظرك بلهفة .. ماذا فعلت ؟

أجابتها (مروة) فى مرح زائد ، وهى تدفع باب حجرة (مؤنس) :

ــ انتصرت .

تهلَّلت أسارير (عزَّة) ، وهى تهتف :

ــ ألف مبارك .. إنه أجمل خبر سمعته هذا الصباح .

ولكن (مروة) لم تسمعها ، وإنما اندفعت داخل حجرة

(مؤنس)، وأغلقت الباب خلفها فى سرعة، فابتسمت (عزّة) وهى تغمغم:

ـ يا لعذوبتها!

ثم عادت تواصل عملها فى صمت..

أما (مروة) فقد دلفت إلى حجرة (مؤنس) بابتسامة كبيرة، أضفت على وجهها جاذبية تصعب مقاومتها، وهى تتطلّع إليه، فهبّ هو من مقعده، وقال فى لهفة واضحة:

ـ (مروة)؟! إننى أنتظرك منذ ساعة كاملة.. هل ظهرت نتيجة الامتحان؟

أجابته فى سعادة:

ـ نعم.

برقت عيناه، وهو يهتف فى فرح:

ـ لقد نجحت.. أليس كذلك؟

أطلقت ضحكة عذبة رقيقة، وهى تصفق بكفّيها فى جذل، مجيبة:

ـ بلى.. لقد انتهت أيام الدراسة.

هتف فى سعادة، وهو يمسك كتفيها:

ـ رائع يا (مروة).. رائع.. لقد سقط آخر حاجز.

ثم تنهّد فى عمق، وهو يغلق عينيه، مستطردا:

ـ أخيرا.. حمدا لله.

كان يشعر بسعادة حقيقية بالفعل، فمنذ تعرّف (مروة)، فى بدايات حياتها الجامعية، ارتفعت أمامهما عشرات الحواجز والسُدود..

كان هو طالبا فى السنة النهائية بكلية التجارة، فى حين كانت هى وافدة جديدة، فى المجتمع الجامعى، تدخله متردّدة مرتبكة، وشعرها المعقوص خلف رأسها، على هيئة ذيل الحصان، يتضافر مع ثوبها الوردى الأنيق البسيط، وملامحها العذبة الرقيقة، ليجعلها أقرب إلى طالبة المراحل الثانوية، منها إلى طالبات الجامعة، اللاتى اعتدن حضور أوّل أيام العام الدراسى الجديد فى أبهى حُلَة، وأكمل زينة، وكأنهن عارضات أزياء فى حفل رسمى هام..

ومنذ يومها الدراسى الأوّل جذبته إليها فى شدة..

لم تكن رائعة الجمال، أو باهرة الحسن، وإنما كانت تمتلك تلقائية جميلة وبساطة محبّبة، وجاذبية تكفى لإدارة رءوس أعتى الرجال..

ودون أن يضيع لحظة واحدة، سعى (مؤنس) للقائها.

وتعريفها بنفسه، مستغلًا رئاسته السابقة لاتحاد الطلاب، وسألها عما إذا كانت تحتاج إلى أيَّة مساعدة، فى يومها الجامعى الأوَّل، فطلبت منه ببساطة أن يرشدها إلى المدرَّج، الذى ستتلقَّى فيه محاضرتها الأولى، ففعل..

وشعر يومها أنها قد اختطفت قلبه، وتركت صدره خاليًا، وعقله ينبض مبهُورًا..

ولكنه لم يكن وحده الغارق فى بحر جاذبيتها العميق..

كان هناك آخرون غيره..

وعلى رأسهم (مجدى)، زميل دفعتها الوسيم الأنيق، ابن ذلك الطبيب الشهير، الذى لا يمضى أسبوع واحد، دون أن يبرز وجهه الوقُور فى شاشات التّلفاز، وتنساب كلماته الرصينة إلى الآذان، فتُبهر العقول وتسلب القلوب..

وكان هذا أكبر الحواجز..

ولكن (مروة) عَبرت هذا الحاجز..

عَبرته ببساطة رائعة، عندما تجاهلت (مجدى) بوسامته وأناقته، وسيارته الفارهة الحديثة، التى يكفى ثمن إطار واحد من إطاراتها، ليبتاع (مؤنس) كل ما يحتاج إليه من كتب جامعية، ومصروفات دراسية..

لقد تجاهلت (مروة) كل هذا، ومنحت اهتمامها كله له، على الرغم من رقة حاله الواضحة، وقُدراته المالية المحدودة، وملامحه العادية، التى لن تبلغ أبدًا وسامة ملامح (مجدى)..

وكان هذا إعلانًا لحبها له..

ذلك الحبّ الذى شقَّ طريقه بين قلبيهما فى يُسر ونعومة، ثم مدَّ جذوره إلى عقليهما وتشبَّث بجسديهما فى قوة..

ولم يرتح (مجدى) أبدًا لهذه الهزيمة..

لقد بذل أقصى جهده لإفساد علاقتهما، وإقامة عشرات الحواجز بينهما..

ولكن هيهات..

كان حبهما القوى العميق يتجاوز كل الحواجز، مهما بلغ ارتفاعها، ومهما تضاعف عمقها..

ثم حصل (مؤنس) على بكالوريوس التجارة بتفوُّق، وتصوَّر أن هذا يزيل كل الحواجز، بينه وبين (مروة)، وأنه يستطيع الآن التقدُّم لخطبتها رسميًا..

ولكنه كان واهمًا..

صحيح أنه حصل على شهادة إتمام دراسته الجامعية بتفوُّق واضح، ولكنه لم يحصل على وظيفة معيد بالجامعة. وكان عليه

أن يسعى وحده للبحث عن عمل يناسبه، حتى يحصل على دخل كاف لخطبة (مروة)، والزواج منها فيما بعد..

وفى نفس الوقت، شعر (مجدى) أن الساحة قد خلت له، بعد أن أنهى (مؤنس) دراسته الجامعية، ولم يعد ينتمى إلى الكلية، فعاد يغزل شباكه حول (مروة)، التى تصدت له بصرامة وحزم، لا يتناسبان أبدا مع رقتها وبساطتها، وأجبرته على التراجع مُثخنا بجراح عميقة فى كرامته وأنانيته وحقده..

وطوال عام كامل، راح (مؤنس) ينبش الصخر بأظافره، بحثا عن عمل مناسب، وبدأ اليأس يتسلل إلى أعماقه، مشيدًا حاجزا قويًا بينه وبين (مروة)..

حاجزا جعله يتصوَّر أن الفشل هو المصير المحتم لعلاقتهما، فحاول الابتعاد عن (مروة)، واقناعها بعدم جدوى ذلك الحب اليائس العاجز..

ولكن العكس هو الذى حدث..

لقد أقنعته (مروة) بإلقاء اليأس خلف ظهره، واقتحام الحياة بروح جديدة، وأكدت له أنها لن تتخلى عنه أبدا، وستنتظره حتى يقف على قدميه، ويحقق أحلامه، ولن تكون لسواه..

وكان لكلماتها فعل السحر..

لقد انتزعت اليأس من قلب (مؤنس) انتزاعا، وطئته بأقدام الحزم والتصميم، فاندفع الشاب يشقُّ نهر الحياة بقلب جديد، وحماس رائع، جعله يحظى فى النهاية بوظيفة بسيطة، فى أحد فنادق العاصمة..

لم تكن تلك الوظيفة تناسب قُدراته أو إمكاناته، ولكنه تقبَّلها راضيا، وبذل فيها كل ما يملك من جهد وإخلاص، فلم يمضى عام واحد حتى حصل على ترقية مناسبة، ضاعفت أجره، ووضعته فى منصب لائق..

وهنا فقط تقدَّم (مؤنس) لخطبة (مروة)..

وكان هذا حاجزًا جديدًا..

لقد أصرَّ والدها على عدم إتمام الخطبة، إلا بعد أن يحصل (مؤنس) على شقة جديدة، تصلح لمعيشتهما بعد الزواج..

ولم ينجح (مؤنس) فى تجاوز هذا الحاجز إلا بعد عام آخر، ادخر خلاله كل قرش يحصل عليه من عمله بالفندق، بالإضافة إلى عمل مسائى، التحق به لتدبير مورد مالى إضافى..

وأخيرًا استطاع دفع مقدم ثمن شقة جديدة من حجرتين، تقبَّلها والد (مروة) فى صعوبة، بعد محاولات عديدة من

(مروة) ، التى أكدت له أن الشقة تروق لها ، ولكنها لن تجد أفضل منها ..

ولا أفضل من (مؤنس) ..

ووافق والدها على خطبتهما ..

ولكنه رفض إتمام الزفاف ، قبل حصول (مروة) على بكالوريوس التجارة ..

وكان هذا يعنى عامًا آخر من الانتظار ..

وحاجزًا آخر ، الزمن وحده يمكنه تجاوزه ..

ومضى ذلك العام فى بطء مثير ..

وتطورت خلاله كل الأمور والأحداث ..

لقد انتقل (مؤنس) من عمله بالفندق إلى عمل جديد ، فى شركة (نوار) للدعاية والإعلان ، يزيد دخله منه عن راتبه وأجر عمله المسائى معًا ، ويحتل فيه منصبًا جيدًا ، يطمح إليه الكثيرون ..

واستذكرت (مروة) محاضراتها فى حماس ، حتى لا تضيف إلى سنوات الانتظار عامًا جديدًا ، أو حتى شهرًا واحدًا ..

وأخيرًا نجحت (مروة) ، وحصلت على شهادة البكالوريوس ، وانهار الحاجز الأخير ..

أو هكذا تصوَّر (مؤنس) و (مروة) ، وهما يستعيدان ذكرياتهما المشتركة ، فى حجرة مكتب (مؤنس) ، الذى سأل خطيبته بابتسامة كبيرة :

ـ وما تقدير النجاح ؟

ضحكت فى عذوبة :

ـ نجحت بدرجة جيد ، وهى تكفينى ، فلست متفوِّقة مثلك .

ثم مالت نحوه ، تستطرد بهمس رقيق :

ـ المهم أننى نجحت .. أليس كذلك ؟

همس فى حُبّ :

ـ بالتأكيد .

كم تمنى لحظتها لو احتواها بين ذراعيه ، وطبع على شفتيها قبلة رقيقة ، منحها معها كل حبه وحنانه ، إلا أنه قاوم تلك الرغبة فى أعماقه بشدة ؛ لأنه يعلم أن علاقتهما قد انتقت لنفسها ـ منذ البداية ـ نهجًا خاصًا نظيفًا ، لا يتجاوز أبدًا القيم والتقاليد والدين ..

هكذا كانت علاقتهما ..

وهكذا كان حبهما ..

نظيفًا، عفيفًا، طاهرًا، نقيًا..

وفى حنان، همس:

ــ أظن والدك لن يعارض زفافنا بعد هذا؟

أطرقت فى حياء، وهى تقول فى رقّة وخفر:

ــ أتعشّم هذا؟

تطلّع إليها فى حب جارف، ثم تنحنح ليُخرج مشاعره من هذا القفص الذهبى الجميل، وقال:

ــ حسنًا.. سأدعوك لتناول طعام الغداء، احتفالًا بنجاحك.

تهلّلت أساريرها، وهى تقول:

ــ أوافق تمامًا على هذا الاقتراح.

تلامست أناملهما فى حُنوّ، وهما يغادران مكتبه جنبًا إلى جنب، وبَدَوا أشبه بصورة رومانسية رقيقة للحب الصافى، لولا أن اقتحم الصورة صوت يجمع ما بين السخرية والحقد، يقول:

ــ (مؤنس) و (مروة)؟!.. يا لها من مصادفة!

رفعا عيونهما إلى مصدر الصوت، وانعقد حاجبا (مؤنس) فى ضيق..

لقد رأى أمامه آخر شخص يتمنى رؤيته، فى مثل هذه اللحظة..

رأى (مجدى)..

غريمه (مجدى).

* * *



٢ ـــ اقتحام ..

امتزج الحنق بالدهشة، فى أعماق (مؤنس)، وهو يحدّق فى وجه (مجدى)، وتساءل فى سُخط عن تلك المصادفة السخيفة، التى أتت بـ(مجدى) إلى هنا، فى هذه اللحظة بالذات، وزاد من سُخطه أن ابتسمت (مروة) فى مرح، وقالت فى بساطة:

ـــ (مجدى) ؟!.. يا لها من مصادفة بالفعل !.. ماذا تفعل هنا ؟

ظلّ وجه (مجدى) يحمل تلك الابتسامة المقيتة، التى يبغضها (مؤنس) كل البغض، وهو يقول:

ـــ إننى هنا للتعاقد بشأن حملة إعلانية جديدة.

سأله (مؤنس) فى جفاء:

ـــ وما صلتك بالحملات الإعلانية ؟

اتسعت ابتسامة (مجدى) الساخرة، وهو ينقل بصره إليه، قائلًا:

ـــ ما صلتى بها ؟!.. ألا تعلم أننى صاحب شركة إنتاج سينمائية شهيرة ؟.. ألم تخبرك (مروة) بهذا ؟

عقد (مؤنس) حاجبيه، وقال فى ضيق:

ـــ لا .. لم تفعل.

شعرت (مروة) بذلك الغضب، الذى بدأ ينبت فى أعماق (مؤنس)، ويتسلّل إلى نبراته، فأسرعت تقول:

ـــ لم أجد ذلك ضروريًا.

بدت ابتسامة (مجدى) أكثر بغضًا، وهو يقول:

ـــ هكذا ؟!

ثم أسرع يستطرد فى اهتمام:

ـــ ولكن ماذا عنكما ؟.. ماذا تفعلان هنا ؟

أشارت (مروة) إلى (مؤنس)، وأجابت فى لهجة تحمل الكثير من الزّهو:

ـــ (مؤنس) هو مدير الحسابات هنا.

هتف (مجدى) مستنكرًا:

ـــ مدير حسابات ؟.. بهذه السرعة.

ثم استعاد ابتسامته الساخرة، وهو يستطرد:

ـــ وكم تتقاضى من هذا المنصب يا صاح ؟

أجابه (مؤنس) فى خشونة متحفزة:

ـ ما يكفى.

أدركت (مروة) أن ذلك اللقاء يوشك أن ينقلب إلى كارثة. فأسرعت تدير دفة الحديث بعيدا. وهى تسأل (مجدى):

ـ وماذا عن نتيجة الامتحان يا (مجدى)؟.. هل نجحت؟

لوّح (مجدى) بكفّه فى لامبالاة. وأجابها:

ـ لم يكن هناك وقت للاستذكار هذا العام.. سأؤجل الحصول على شهادة البكالوريوس للعام القادم.

ثم ابتسم فى شماتة، مستطردا:

ـ ولست أحتاج إليها فى الواقع.

قال (مؤنس) فى خشونة:

ـ هذا صحيح.

ثم جذب (مروة) إلى الخارج، مستطردا:

ـ إلى اللقاء يا (مجدى).

تابعهما (مجدى) ببصره. وهما ينصرفان. محتفظا بنفس الابتسامة الساخرة. فى حين ظلّ (مؤنس) متجهّما. حتى هبط مع (مروة) إلى الطريق. ثم سألها فى حدّة:

ـ لماذا أخفيت عنّى أن (مجدى) يمتلك شركة إنتاج سينمائية؟

أجابته محاولة تخفيف توتّره:

ـ الإخفاء ليس اللفظ المناسب يا (مؤنس).. كل ما فى الأمر هو أننى لم أجد للأمر أهمية.. ولكننى أعتذر على أية حال.

صاح فى غضب:

ـ أتظنيننى أسعى لاعتذارك فحسب؟

تركت أناملها تلتقط كفّه فى رقّة ونعومة، وهى تهمس:

ـ كلّا يا (مؤنس).. لست أظن هذا. ولكننى أحاول عدم إفساد فرحتى بنجاحى. وبقرب زفافنا.

انتزعت همساتها الحنون كثيرا من توتّره، فتنهّد فى عمق. وكأنما يحاول السيطرة على ثورة أعماقه. ثم ربّت على كفّها. قائلا:

ـ معذرة يا حبيبتى.. يبدو أننى أفسدت بهجتك.

هتفت فى مرح:

ـ محال.

ثم مالت برأسها نحوه. وهى تستطرد فى همس:

ـــ ما دمت إلى جوارى.

ابتسم وهو يحتضن كفها بأصابعه، متمتمًا:

ـــ كم أحبك.

رقص قلبها بين ضلوعها فى سعادة، واستكانت كفها بين أصابعه، وتلاشت ثورته كلها أمام ذلك النبع الذى تفجّر فى أعماقه..

نبع الحب..

* * *

تطلّع والد (مروة) طويلًا إلى (مؤنس)، دون أن ينبس ببنت شفة، مما أثار فى أعماق (مؤنس) الكثير من القلق والارتباك، قبل أن يقول الوالد فى بطء:

ـــ إذن فأنت تريد إتمام الزفاف.

ازدرد (مؤنس) لعابه، وهو يجيب فى توتر.

ـــ نعم يا عمّاه.. أظن أنه لم يعُد هناك ما يعُوق ذلك، فلقد حصلت (مروة) على شهادتها، وتسلّمت أنا الشقة، ولدينا حجرة نوم، وصالون، و...

قاطعه والدها فى صرامة:

ـــ وماذا عن راتبك؟.. هل يكفى لحياة عائلية مستقرّة؟

أجابه (مؤنس):

ـــ بالتأكيد يا عمّى، فراتبى يبلغ أربعمائة جنيه شهريًا.

قال الوالد فى حزم:

ـــ لا تنس أنك مضطر لدفع نصف هذا الراتب شهريًا، لمدة عامين، لسداد أقساط شقتكما.

قال (مؤنس) فى حزم أشدّ:

ـــ أظن المبلغ المتبقّى يكفينا.

عقد الوالد حاجبيه مفكّرًا، وساد الصمت تمامًا، فى الشقة كلها تقريبًا، حتى كاد قلب (مؤنس) يتوقّف عن النبض، لولا أن تسلّلت ابتسامة إلى وجه والد (مروة)، وهو يقول:

ـــ فليكن.. ما دمتما ترغبان فى هذه.

وانطلقت فى المنزل زغرودة فرح..

* * *

كان حفل الزفاف بسيطاً أنيقًا، حضره عدد محدود من المدعوّين، وتألّقت فيه (مروة)، حتى لقد بدا أن جاذبيتها قد تضاعفت عشر مرّات على الأقل، فى ذلك الثوب الأبيض الرقيق، الذى جعلها أشبه بملاك حالم، يرفرف بجناحيه فى سماء الفردوس، وابتسامتها العذبة تخلب لُبّ المدعوّين، وهى تتأبط ذراع (مؤنس)، الذى بدا بدوره أنيقًا وسيمًا، فى حلّة سوداء، ورباط عنق أبيض..

وشملت الفرحة والسعادة الجميع ..

ثم ظهر (مجدى) ..

ظهر فجأة، بصحبة السيّد (نوَّار)، صاحب شركة الدعاية والإعلان، وتقدَّم معه يصافح (مؤنس)، وهو يبتسم ابتسامته المقيتة، قائلا:

ـ لقد دعوت نفسى إلى حفل زفافكما، عندما علمت بأمره من السيِّد (نوَّار)، ألا يضايقكما هذا؟

تطلَّعت (مروة) إلى (مؤنس) فى قلق، وخشيت أن يفسد حضور (مجدى) المباغت حفل زفافهما، ولكن (مؤنس) احتفظ بابتسامة هادئة على شفتيه، وهو يصافح (مجدى)، قائلا:

ـ أنت هنا على الرُّحب والسَّعة يا (مجدى).

ثم صافح رئيسه (نوَّار) فى احترام وترحيب، فى حين التفت (مجدى) إلى (مروة)، وقال وهو يمدّ يده لمصافحتها:

ـ مبارك يا أجمل عروس.

مدّت يدها تصافحه فى حرج، فالتقط راحتها فى كفّه، وضغطها فى نعومة، وهو يتطلَّع إلى عينيها بابتسامته السخيفة، مما جعلها ترتجف، وتحدّق فى وجهه بذعر، ثم تسحب كفَّها من

بين أصابعه فى سرعة، ولم يحاول هو إبقاء راحتها فى يده، وإنما تركها تسحبها بلا مقاومة، ومدّ يده إلى جيب سترته، قائلا:

ـ لقد فاجأنى أمر حفل زفافكما فى الواقع، فلم أجد الوقت لانتقاء هدية مناسبة، وأرجو أن تتقبَّلى منّى هذه الهدية المتواضعة.

أخرج يده من جيبه تحمل علبة مخملية صغيرة، فتحها أمام عينى (مروة)، التى أطلقت، على الرغم منها، شهقة انبهار، وهى تتطلَّع إلى ذلك الخاتم الماسىّ الأنيق، الذى تألّق داخلها كشمس صغيرة، و(مجدى) يبتسم ابتسامته المقيتة الساخرة، قائلا:

ـ هل أعجبتك؟!

واتسعت ابتسامته أكثر..

* * *

«خطأ .. كان ينبغى رفض هديته تمامًا» ..

صاح (مؤنس) بهذه العبارة فى غضب، وهو يقف فى منتصف حجرة النوم الجديدة، التى تجمعه بزوجته لأوّل مرة، واقتربت منه (مروة) فى استكانة، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى الرجاء:

— أرجوك يا (مؤنس) .. لا تفسد هذه الليلة .. أقسم لك إننى ارتبكت كثيرًا، عندما قدَّم لى (مجدى) هديته، ولم أدر ماذا أفعل بها، ولقد خشيت أن أرفضها، فيصرَّ (مجدى) على منحى إيَّاها، ويفسد هذا حفل زفافى.

هتف بها (مؤنس):

— بل بهرك بريق الماس، فتناسيت ما ينبغى، وما لا ينبغى.

ظهر الأسى على ملامحها، وهى تقول فى حزن:

— أهذا رأيك فىَّ؟

هوَت العبارة على قلبه كخنجر ماضٍ، وتفجَّر فى موضع الطعنة شلال من الندم والأسف والعطف والإشفاق، ودفعه ذلك المزيج من المشاعر إلى الاقتراب منها، واحتوائها بين ذراعيه، وهو يقول فى حنان:

— مطلقًا يا حبيبتى .. إننى أعتذر .. أعتذر ألف مرَّة.

أراحت رأسها على صدره، وهى تهمس:

— إننى أحبك يا (مؤنس)، ومن المستحيل أن يفرِّقنا مال، حتى ولو كان ثروة طائلة.

ضمَّها إليه فى حُبّ وحنان، وهو يقول:

— إننى أثق بهذا يا حبيبتى .. أثق به تمامًا.

ولكن القدر كان يدخر لهذه الثقة مصيرًا خاصًا .. وغامضًا.

* * *



٣ ــ أيام الحب ..

لم تحيا (مروة)، فى عمرها كله، سعادة تفوق تلك التى عاشتها، فى أيام الزواج الأولى. فلقد تضاعف حبها لـ(مؤنس)، مع التقائهما، ومعيشتهما معًا تحت سقف واحد، إذ كان (مؤنس) طيِّب القلب، حُلو المعشر، عفَّ اللسان، رقيق الإحساس، غمرها بحبه وحنانه، واحتواها برعايته وعطفه، وكافأته هى بحبها واهتمامها، حتى باتت حياتهما أشبه بجنة على الأرض، على الرغم من اضطرارهما للاقتصاد بشكل كبير، بعد أن تبتلع أقساط الشقة نصف راتب (مؤنس)، وتجمع أقساط الأثاث، مع مصروفات مواصلاته، لالتهام جزء كبير من المبلغ المتبقِّى، بحيث يعتمد المنزل على ربع الدخل الفعلى، لقضاء شهر كامل..

وراحت (مروة) تعدّ برنامجًا مُحْكَمًا للإنفاق، ونجحت فى اتباعه بمنتهى الدقة، دون شكوى أو تبرُّم، وبذل (مؤنس) أقصى جهده؛ لمعاونتها على النجاح، فاقتصد فى مصروفاته

الشخصية، بحيث لم يعُد ينفق سوى للضرورة القصوى، ويحاول فى الوقت نفسه ادخار كل ما يمكنه ادخاره، ليفاجئ (مروة) بهدية صغيرة بين الحين والآخر، تملأ قلبها سعادة، وتقوِّى رباط الحب، الذى يربط بين قلبيهما..

وفى ذات ليلة، كان التعب قد بلغ منه مبلغه، عندما تهالك على مقعد مجاور لمقعد زوجه (مروة)، وهتف فى مرارة:

ــ يا إلهى!.. ألن ينتهى هذا أبدًا؟

ابتسمت فى رقَّة، وهى تربِّت على كفِّه فى حنان، قائلة:

ــ لكل شىء نهاية يا حبيبى.. لن نعانى هكذا إلى الأبد.. ستنتهى أقساط الأثاث بعد عام واحد، وفى العام التالى تنتهى أقساط الشقة، وسيزداد راتبك خلال هذه الفترة حتمًا، و...

قاطعها فى حَنَق:

ــ هذا لو لم أنْهَر قبل ذلك.

مالت نحوه، وهمست فى أذنه بحبّ:

ــ ومن قال أننى سأسمح بحدوث هذا؟

غمرته جاذبيتها الرائعة، فاحتواها بين ذراعيه، ونسى همومه ومتاعبه، وهو يضمّها إلى صدره..

هكذا كانت تسير حياتهما..

من حبٍّ إلى حبٍّ ..

من حنان إلى حنان ..

وكان يواجهان كل الصعاب والمشكلات بروح صافية، وعزم ولَّده الحب فى قلبيهما وروحيهما ..

ثم جاء ذلك اليوم، الذى زفَّت إليه (مروة) فيه البشرى بشرى حملها ..

ومن المؤكَّد أن العالم أجمع، لم يكن يحوى فى ذلك اليوم رجلًا، أكثر سعادة وفرح من (مؤنس)، الذى أسرع ينقل الخبر إلى أسرته وأسرتها، فى اليوم نفسه، وهو يكاد يرقص زهوًا وطربًا ..

ثم أدرك أن ذلك القادم الجديد يعنى مزيدًا من الاقتصاد، وتقليلًا أكثر فى الإنفاق ..

ولكنه احتمل كل هذا ..

احتمله دون أن يستطيع تحقيقه؛ فقد أصبحت (مروة) بحاجة إلى غذاء أفضل، ومتابعة طبِّية مستمرَّة، وأدوية، وعقاقير مقوِّية ..

وكان من الضرورى أن يبحث (مؤنس) عن عمل إضافى آخر ..

ولقد فعل ..

أصبح يعمل طوال الوقت تقريبًا، من الصباح وحتى منتصف الليل، ويعود إلى المنزل مرهقًا مجهدًا، لا يقوى حتى على إبقاء جفنيه مفتوحين لدقائق معدودة ..

وشعرت (مروة) بمزيج من العطف والإشفاق، وتأنيب الضمير تجاهه، وهى تعلم أنه يفعل كل هذا من أجلها، ومن أجل طفله القادم، وقرَّرت ألا تقف ساكنة، وأن تتجاوز تلك المحنة فى شجاعة، قبل أن تفقد زوجها وحبيبها ..

وفى أحد الأيام، عندما عاد (مؤنس) من عمله الليلى، بعد منتصف الليل بدقائق، استقبلته بابتسامة ناعمة، وعاونته على ارتداء منامته، ثم مرَّرت أصابعها بين خصلات شعره، وهى تقول فى حنان:

ــ لقد نحلت كثيرًا فى الآونة الأخيرة يا حبيبى، وأخشى أن تنهار يومًا، فأفقدك، وأفقد حياتى كلها معك.

ربَّت على كفها فى حبّ، وهو يقاوم رغبته الشديدة فى النوم، مغمغمًا:

ــ إنما أفعل كل هذا من أجلك، ومن أجل طفلنا القادم يا حبيبتى، فمولده وحده سيحتاج إلى الكثير من النفقات، و...

قاطعته فى سرعة :

ـــ لقد دبَّرت المبلغ المطلوب .

قفز النوم بعيدًا عن عينيه، وهو يهتف :

ـــ دبَّرت ماذا ؟

وهبَّ جالسًا على طرف الفراش، وهو يسألها فى حزم :

ـــ ماذا تعنين بهذا ؟

أشاحت بوجهها، وكأنها تتحاشى النظر إليه، وأخرجت من أسفل الوسادة ثلاث رزم نقدية، وضعتها أمامه فى ارتباك، فحدَّق فى النقود ذاهلًا، قبل أن يهتف فى توتُّر :

ـــ ما هذا ؟

أجابته مرتجفة :

ـــ لقد بعت الخاتم .

سألها فى حدَّة :

ـــ أى خاتم ؟

قالت وهى تخفض عينيها :

ـــ الخاتم الذى أهداه إلىَّ (مجدى)، ليلة زفافنا .

رانَ على الحجرة صمت رهيب، بعد أن نطقت بعبارتها، وراح جسدها يرتجف ارتجافة سريعة متوتِّرة، وهى تخشى رفع عينيها إلى عينى (مؤنس)، الذى ردَّد فى مرارة :

ـــ بعت خاتم (مجدى) ؟

كانت المرارة تقطر مع حروف كلماته، على نحو مزَّق قلبها، فرفعت عينيها إليه، قائلة :

ـــ لم أحتمل رؤيتك تقتل نفسك على هذا النحو، وأنا أقف ساكنة .. كان من الضرورى أن أفعل شيئًا .. لقد بعت الخاتم بثلاثة آلاف جنيه، وسيكفينا المبلغ، حتى مولد طفلنا بإذن الله .. ما الضرر فى هذا ؟

أجابها فى غضب :

ـــ ألا تدركين ما الضرر فى هذا ؟ .. إنك ستنفقين على منزلنا وطفلنا من نقود (مجدى) .. ألا يكفى هذا سببًا لأمقت كل قرش، جاء ثمنًا للخاتم ؟

قالت فى رجاء :

ـــ لا تنظر إلى الأمور من هذه الزاوية .. لقد كنَّا نحتاج إلى النقود، والخاتم أصبح ملكًا لى فى كل الأحوال، وبيعه أفضل من الاحتفاظ به هنا، وخسارتك أنت .

لوَّح بذراعه، هاتفًا :

ـــ وهل ربحتنى ببيعه ؟

هتفت بدورها :

ـ بالتأكيد ، أنت تعلم مثلى أنك تقتل نفسك بهذا العمل الشاق ، الذى يستنفد وقتك كله ، ويلتهم صحتك وحيويتك .. أتظن هذا يسعدنى ؟.. أتظنه يفيد طفلنا القادم ؟.. هل يفيده أن يأتى إلى الدنيا ، فيجد والده حطامًا ، وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد ؟

قال فى مرارة :

ـ لن يفيده أيضًا أن يأتى إلى الدنيا بنقود رجل آخر .

أمسكت يده قائلة :

ـ إنه يأتى إلى الدنيا بمشيئة الله (سبحانه وتعالى) وحده ، وليس بنقود أى كائن كان .

ثم اقتربت بشفتيها من أذنه ، حتى شعر بأنفاسها الحارة ، وهى تستطرد فى همس محبّ حنون :

ـ ثم أنك لم تنظر إلى الأمر ، من الزاوية الصحيحة .

كان حنانها ينتزع توتُّره دائمًا ، لذا فقد سألها فى همس مماثل :

ـ وما هذه الزاوية الصحيحة ؟

طبعت على خدّه قُبلة حانية ، وهى تقول :

ـ لقد بعت (مجدى) من أجلك .. هذا هو المعنى الصحيح لما حدث .

أثلج قولها صدره ، وأفسح الطريق لمنطقه ، فأرهف سمعه لصوت العقل ، واقتنع بما قالته ، وقرَّر أن يتجاوز هذا الحاجز معها ، فضمَّها إلى صدره ، وهمس بدوْره :

ـ صدقت .. هذا هو المعنى الصحيح .

وعادت أيام الحبّ ..

* * *

كانت مبادرة (مروة) سليمة تمامًا ، بالنسبة لـ(مؤنس) ، فقد أمكنه التخلّى عن العمل الليلى ، والاكتفاء بعمله فى شركة (نوّار) للدعاية والإعلان ، ومتابعة حمل (مروة) صحّيًا ، وتغذيتها على نحو صحّى مناسب ..

وانعكس هذا بالطبع على هدوء المنزل ، ولمسة الحبّ والحنان ، التى وجدت طريقها فيه فى يُسر وسهولة ، فراح (مؤنس) يغمر (مروة) برعايته وحبّه ، وراحت هى توليه اهتمامها وعنايتها ..

وانعكس هذا أيضًا على نشاط (مؤنس) واهتمامه بعمله ، مما منحه علاوة إضافية من الشركة ، كانت تكفى لموازنة مصروفات المنزل ، والاستعداد للقادم الجديد ..

ولكن كل هذا كان يحتاج إلى المال ..

دائمًا المنال ..

ذلك الحاجز اللعين. الذى ترتطم به كل العواطف والمشاعر والأحاسيس..

لقد تناقص ثمن بيع الخاتم فى سرعة، مع كل هذه المصروفات، وراحت الأصفار الثلاثة تنكمش إلى صفرين..

ثم إلى صفر واحد..

وقبل أن ينتهى المبلغ تمامًا. قرر طفلهما النزول إلى عالمنا..

ففى ليلة ممطرة، من ليالى ديسمبر..

وفى منتصف الليل تقريبًا..

أطلقت (مروة) أولى صرخاتها..

ومع مشرق الشمس جاء الوليد المنتظر..

جاء (أحمد)..

وكانت البداية..

البداية الحقيقية.

* * *

٤ ــ النيران ..

ضغط (مجدى) زرّ جهاز الاتصال الداخلى على مكتبه، وهو يسأل سكرتيرته فى عصبيَّة:

ــ ألَمْ يعُد (سالم) بعد؟

أجابته سكرتيرته، عَبْرَ جهاز الاتصال:

ــ لا يا سيِّدى.. لم يعُد إلى الشركة بعد.

هتف فى غضب:

ــ أين ذهب ذلك الغبى؟.. كان المفروض أن يذهب إلى شركة (نوَّار)، ويوقِّع عقد الحملة الإعلانية الجديدة، ثم يعود على الفور.

ارتبكت السكرتيرة، وهى تقول:

ــ لست أدرى أين ذهب.. إنه...

ثم بترت عبارتها لحظة، لتعود هاتفة فى ارتياح:

ــ ها هو ذا قد وصل.

قال (مجدى) فى حدَّة:

ـ دعيه يأتي إلى مكتبي على الفور.
مضت لحظات، قبل أن يفتح شاب نحيل باب المكتب، ويدلف إلى الداخل، فصاح به (مجدى) مُحنقًا:
ـ أين كنت؟
أجابه الشاب فى هدوء، يشفُّ عن لامبالاته بثورة (مجدى):
ـ لقد غيَّر (نوَّار) عقد الحملة، وكان علىَّ أن أناقشه فى البنود الجديدة، وأساومه فيها، قبل أن أُوقِّع العقد.
عقد (مجدى) حاجبيه، وكأنما لم يُرق له القول، وسأل (سالم):
ـ وكم تبلغ قيمة العقد الجديد؟
أجابه (سالم)، وهو يرمقه بطرف خفىٍّ:
ـ مائتى ألف جنيه:
صرخ (مجدى):
ـ ماذا؟.. إنه لص (نوَّار) هذا.. إنه محتال كبير، و...
قاطعه (سالم):
ـ لقد قابلت (مؤنس) هناك.
كان يعلم أن هذا كفيل بجذب انتباه (مجدى) تمامًا إلى نقطة

أخرى، وكان على حقٍّ فى هذا، فقد تلاشت ثورة (مجدى) فجأة، وحلَّ محلّها اهتمام عظيم، وهو يسأله:
ـ (مؤنس) زوج (مروة)؟
أجابه فى سرعة، وقد أدرك أنه أصاب هدفه:
ـ نعم.. كان يطلب قرضًا من الشركة، بعد مولد ابنه (أحمد).
عقد (مجدى) حاجبيه فى ضيق، وهو يقول:
ـ ابنه؟!.. هل أنجبتْ (مروة) ابنًا لـ(مؤنس)؟
أومأ (سالم) برأسه إيجابًا، وقال فى لامبالاة:
ـ كل النساء تفعل هذا.
ازداد انعقاد حاجبى (مجدى)، وانكمش فى مقعده بضيق واضح، فقال (سالم) فى حزم:
ـ انتزعها من عقلك يا (مجدى).. (مروة) لم تكن أبدًا لك، ولم يعُد من الممكن أن تصبح لك، فهى الآن ليست زوجة فحسب، بل صارت أُمًّا، و...
أدار (مجدى) رأسه إليه فجأة، وسأله فى اهتمام بالغ:
ـ هل قلت إن (مؤنس) كان يطلب قرضًا من الشركة؟
لم يفهم (سالم) صلة السؤال بحديثهما عن (مروة)، ولكنه أجابه:

ـــ نعم، أنت تدرك مصاريف الولادة، و ...
قاطعه (مجدى) مرة أخرى فى اهتمام :
ـــ ألا يحصل (مؤنس) على راتب جيِّد من الشركة ؟
أومأ (سالم) برأسه إيجابًا، وقال :
ـــ بلى، ولقد سألت (نوَّار) عن هذا، بعد انصراف (مؤنس)، فأخبرنى أن راتب (مؤنس) يزيد قليلاً عن أربعمائة جنيه، ولكنه يدفع أقساطاً شهرية، لشقته وأثاثها، تزيد عن ثلثمائة جنيه، والمبلغ المتبقّى يكفيه بالكاد.
مطّ (مجدى) شفتيه، وغمغم :
ـــ يدهشنى أنه يكفيه ليوم واحد.
ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة شريرة، وهو يستطرد :
ـــ وهذا يمنحنى فرصة جيدة.
لم يرق هذا القول لـ(سالم)، فقال فى توتُّر :
ـــ اسمع يا (مجدى).. خذها منى نصيحة صديق.. إن (مروة) تحب (مؤنس)، ولقد احتملت دخله هذا منذ زواجهما، ولن يمكنك التأثير عليها بأموالك.
لوَّح (مجدى) بكفه، وهو يقول فى غموض :
ـــ بالطبع.. لست غبيًّا لأفكِّر بهذا الأسلوب المباشر..

إننى أعلم جيدًا أن (مروة) تحب (مؤنس)، والتلويح لها بالمال يزيدها التصاقًا به، وعنادًا من أجله ؛ لتثبت لنفسها أنها ليست خائنة أو غادرة، ولكن هذا لا يمنع كونهما يعانيان شظف العيش، وأن طفلهما هذا سيزيد من احتياجهما للمال، ومن إحساسهما بالحاجة إليه، والأم تضحّى بكل شىء فى الدنيا، فى سبيل ابنها.. أليس كذلك ؟
عقد (سالم) حاجبيه هذه المرة، وهو يسأل (مجدى) :
ـــ (مجدى).. أية فكرة شيطانية تملأ رأسك هذه المرّة ؟
ابتسم (مجدى) ابتسامته المقيتة، وهو يتراجع فى مقعده، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه، قائلًا :
ـــ دع الجواب للزمن يا صديقى.
واتسعت ابتسامته أكثر، وهو يستطرد كالشيطان :
ـــ للزمن القريب..

* * *

ارتسمت ابتسامة أبوية حانية على وجه (مؤنس)، عندما وصل إلى منزله فى المساء، وتطلّع إلى وجه ابنه (أحمد)، والتقطه من بين يدى أمه فى حنان، وضمه إلى صدره، قائلًا فى لهجة أقرب إلى الهمس :

ـ كيف حالك يا وليّ العهد .. هل أرهقت أمك اليوم؟
ضحكت (مروة) فى سعادة، وهى تقول:
ـ إنه يفعل هذا دائمًا.
جلس (مؤنس) إلى جوارها، وهو يقول مبتسمًا:
ـ فلتحمدى الله أن والده لا يشاركه هذا.
أراحت رأسها على كتفه، وهى تقول فى حنان:
ـ إننى أحمد الله، على أن أباه يحتملنى معه.
ضمّها إليه فى رفق، ومرّت بهما لحظات من الصمت، لم يقطعها سوى صوت همهمات الصغير، إلى أن سألت (مروة) زوجها فى اهتمام:
ـ هل حصلت على القرض؟
أومأ برأسه إيجابًا، وتنهّد قائلًا:
ـ نعم، ولكننى سئمت هذا الوضع، فزملاء دراستنا يحسدوننى على وظيفتى، وراتبها الجيّد، فى حين نعانى نحن الأمرّين، حتى يمكننا مجرّد العيش، بعد أن تلتهم أقساط المنزل والأثاث ثلاثة أرباع دخلنا .. حتى ثمن ذلك الخاتم اللعين تطاير فى سبعة أشهر فحسب، وكأنما يرفض البقاء فى منزلنا المتواضع.

ابتسمت متعاطفة، وهى تقول:
ـ لن تظلّ الأمور هكذا إلى الأبد .. كل ما علينا هو أن نحتمل الأمر لعام أو بعض عام، وبعدها ستنتهى أقساط الشقة والأثاث، وربما أحصل أنا على عمل، ونعبر هذه الأزمة، وسيأتى يوم نتذكّر فيه كل هذا، ونضحك من أعماق قلوبنا.
قال فى مرارة:
ـ هذا لو لم يقتلنا الفقر قبلها.
مسحت شعره بأناملها فى حنان، وهى تقول:
ـ سنقتله نحن، قبل أن يفعل هو.
تطلّع إليها فى حب، وابتسم ابتسامة رقيقة، وهو يقول لها فى هيام:
ـ أنت زوجة رائعة يا (مروة) .. إننى أحسد نفسى عليك.
أطلقت ضحكة مرحة، بدّدت قتامة الموقف، وهى تقول:
ـ يا للمصادفة .. أنا أيضًا أحسد نفسى عليك.
شاركها ضحكتها، وراح صغيرهما يضرب الهواء بذراعيه الرقيقين، وكأنما أبى إلا أن يؤكّد وجوده بينهما، وكان المشهد يصلح كإعلان للأسرة السعيدة..

ولكن تلك السعادة كانت مهدَّدة بشيطان ..
شيطان من الإنس ..

* * *

ارتسمت على وجه (نوَّار) ابتسامة كبيرة، وهو يتطلَّع إلى (مجدى)، قائلًا:
ـ فكرة جيِّدة يا (مجدى) بك .. أنت أوَّل عميل لنا يقترح هذا.
لوَّح (مجدى) بكفه فى خُبث، وهو يقول:
ـ إنهم يفعلون هذا فى (أوربا)، عندما توقِّع شركة كبيرة عقدًا جديدًا، مع أحد عملائها، ولقد أعجبنى هذا التقليد، فرأيت أن أنقله إلى هنا .. وسيكون من الطريف أن نقيم حفلًا أنيقًا للعاملين فى الشركة، وندعو إليه الجميع .. سينتزع هذا منهم متاعبهم، ويزيد من انتمائهم للمكان، ويضمن لى ولاءهم فى الوقت نفسه.
اتسعت ابتسامة (نوَّار) أكثر، وهو يقول:
ـ أنت أذكى عميل لدينا بالفعل يا (مجدى) بك.
ثم اعتدل، وأضاف فى اهتمام:
ـ حدِّد فقط موعد ومكان الحفل، وسأخبر موظفينا أن (مجدى) بك يدعوهم إلى ..

قاطعه (مجدى) فى حزم:
ـ لا .. ليس هكذا ..
تطلَّع إليه (نوَّار) فى دهشة، وهو يقول:
ـ ماذا تعنى؟
ابتسم (مجدى) ابتسامته الخبيثة، وهو يقول:
ـ إنك بهذا تضيع أجمل ما فى الأمر ... المفاجأة .. إننى أقترح أن تدعوهم أنت إلى الحفل .. حفل عائلى أنيق، يحضره كل منهم مع زوجته أو خطيبته، وعندما يحضرون إلى الحفل، نفاجئهم نحن باستقبالهم، وبهديّة بسيطة لكل منهم.
هزَّ (نوَّار) رأسه متفهمًا، وابتسم وهو يقول:
ـ فليكن .. إنه أسلوب جديد على أيّة حال.
نهض (مجدى) يصافحه، وهو يقول:
ـ اتفقنا يا سيِّد (نوَّار) .. سنقيم حفلنا البسيط فى الخميس القادم، فى قاعة خاصة فى فندق (هيلتون) .. هل يناسبكم هذا؟
صافحه (نوَّار) فى حرارة، قائلًا:
ـ بالتأكيد يا (مجدى) بك .. شكرًا لك.
انصرف (مجدى) من مكتبه، ووجهه يحمل ابتسامة ظافرة

كبيرة، أقلقت (سالم)، الذى كان ينتظره فى حجرة السكرتيرة (عزّة)، فسأله وهو ينهض للانصراف بصحبته:

ــ ماذا فعلت؟

اتسعت ابتسامة (مجدى)، وهو يجيبه:

ــ كل شىء على ما يرام.

ظلّ (سالم) صامتًا، يسير إلى جواره، حتى هبطا إلى الطريق، واستقلا سيارة (مجدى)، وهنا سأله (سالم) فى انفعال:

ــ حسنا.. ماذا فعلت؟

أجابه (مجدى) فى برود:

ــ لماذا تكرّر سؤالك هذا؟.. قلت لك إنّ كل شىء يسير على ما يرام.. سيدعوهم (نوّار) إلى الحفل مع زوجاتهم، وسيحضر (مؤنس) مع (مروة) بالطبع؛ لأنهما لن يعلما أننى صاحب الحفل، إلا بعد أن يصبحا داخله بالفعل، وعندئذ ألعب أنا لعبتى.

عقد (سالم) حاجبيه، وهو يتطلّع إليه فى قلق، وقال فى حذر:

ــ وما هى لعبتك بالضبط؟

أطلق (مجدى) ضحكة ممطوطة مقيتة، وهو يقول:

ــ ولماذا العجلة؟.. انتظر حتى ترى كل شىء بنفسك..

قال (سالم) فى عصبية:

ــ ولماذا تخفى عنى الأمر هذه المرة؟

هزّ (مجدى) كتفيه فى استهتار، قائلًا:

ــ حتى يمكنك الاستمتاع باللعبة.

هتف (سالم):

ــ أية لعبة؟.. إنك تسعى لتدمير أسرة سعيدة، بلا أدنى وازع من أخلاق أو ضمير.

صاح به (مجدى) فى غضب:

ــ كيف تجرؤ على مخاطبتى هكذا؟

انخفضت حدة صوت (سالم)، وهو يقول:

ــ معذرة.. لم أقصد هذا، ولكننى ما زلت أتعامل معك كصديق، لا كمدير للعلاقات العامة بشركتك.

أجابه (مجدى) فى صرامة:

ــ ابق هكذا إذن، ولا تحاول فرض الوصاية على أسلوبى وتصرّفاتى.

انكمش (سالم) فى مقعده، وهو يقول فى توتّر:

— حسنًا.. لن أفعل.

رَانَ عليهما الصمت لحظات، ثم قال (مجدى) فى لهجة مخيفة:

— إننى ألعب اللعبة بكل مهاراتى وقدراتى هذه المرة، وعندما أنتهى منها سأكون قد استعدت (مروة).

ثم أضاف فى لهجة جمَّدت الدماء فى عروق (سالم):

— أو أحرم منها (مؤنس) على الأقل.. وإلى الأبد.

وجلجلت ضحكته الشريرة داخل المكان.

* * *



٥ — الحفل..

شعرت (مروة) ببهجة وسعادة حقيقيتين، وهى تجلس إلى جوار (مؤنس)، فى سيارة الأجرة، التى تقلّهما إلى فندق (هيلتون)، وضغطت كفّ زوجها فى حرارة، وهى تقول:

— يا إلهى!.. سنحضر حفلا فى (هيلتون) يا (مؤنس).. ألا يسعدك هذا؟

ابتسم وهو يداعب أصابعها قائلا:

— إنه يسعدنى بالتأكيد، ما دام يسعدك، ولكننى أشعر بالقلق على (أحمد).

قالت فى مرح:

— هذا لأنها أوّل مرة نخرج فيها بدونه، منذ مولده، ولكن والدتى سترعاه أفضل منا حتمًا، فهو أوّل أحفادها، ولقد أسعدها كثيرًا أن نتركه معها.

غمغم مبتسمًا:

— أنت على حق.

كان يشعر بقلق مبهم خفى ، وهو يذهب إلى هذا الحفل ، ولكنه يقاوم شعوره هذا من أجل (مروة) ..

من أجل تلك السعادة التى يراها على وجهها لأول مرة منذ زمن طويل ..

سعادة طفلة تتأهب للهو ، بعد فترة كبت طويلة ..

وطوال الوقت كان يحاول أن يبتسم ، وأن يشاركها فرحتها وسعادتها ، ولكن ذلك القلق الغامض فى أعماقه كان يغتصب ابتسامته اغتصابًا ، ويفتعل فرحته افتعالًا ..

وتضاعف هذا القلق كثيرًا ، عندما أنزلتهما سيارة الأجرة أمام فندق (هيلتون) ، حتى تمنى لو استقل السيارة نفسها عائدًا إلى منزلهما ، لولا أن صفقت (مروة) بكفيها فى جذل ، كما يفعل الأطفال ، وهى تهتف :

ــ ها هو ذا .. أخيرًا سأحضر حفلًا فى فندق فاخر .

ربت على كتفها فى حنان ، وقال :

ــ عندما تتحسن الأحوال ، سأصحبك كثيرًا إلى هذه الفنادق الفاخرة .

تطلعت إليه فى حب ، وهى تقول :

ــ لن يطول انتظارنا لهذا بإذن الله .

ثم تأبطت ذراعه ، مستطردة فى مرح :

ــ هيا .. أريد أن أدخل إلى الحفل ، فى ذراع أروع زوج فى العالم .

ابتسم لعبارتها ، وهو يعبر معها إلى الفندق ، وتوارى قلقه قليلًا ، مع زهوه وانبهاره بأناقة الفندق ، وهما يصعدان إلى قاعة الحفل ، ولكنه لم يكد يدلف معها إلى القاعة ، حتى تسمر فى مكانه ، وسرى التوتر فى كل عرق من عروقه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى صورة ضخمة لـ (مجدى) ، فى حلة بالغة الأناقة ، أبرزت وسامته ، على الرغم من تلك الابتسامة المقيتة ، التى انحفرت على شفتيه ، والتى بدا بها وكأنه يتطلع إلى الحاضرين ساخرًا شامتًا ، وهتفت (مروة) فى دهشة ، وهى تتطلع إلى الصورة الكبيرة ، التى تواجه مدخل القاعة تمامًا :

ــ ما الذى وضع صورة (مجدى) هنا ؟

أتى من جانبها صوت (مجدى) ، وهو يقول فى لهجة تجمع ما بين الزهو والسخرية والشماتة :

ــ بل قولى من وضعها .

التفتت مع (مؤنس) إليه ، وازداد انعقاد حاجبى (مؤنس) فى توتر ، و (مجدى) يستطرد بنفس اللهجة :

— فأنا صاحب الحفل الحقيقى .

انتقل قلق (مؤنس) إلى (مروة) ، فى حين هتف (مؤنس) مستنكرًا :

— أنت صاحب الحفل ؟

أجابه (مجدى) بلهجته السخيفة :

— مفاجأة طريفة .. أليس كذلك ؟.. لقد اقترحت على السيِّد (نوّار) أن يخفى هذا عن الجميع ، ليكون مفاجأة الحفل .

مضت لحظة ساد فيها صمت تام ، و (مجدى) و (مؤنس) يواجهان بعضهما البعض بنظرات نارية متحدِّية ، قبل أن يقول (مؤنس) فى برود :

— تُرى ما مناسبة الحفل ؟.. هل حصلت أخيرًا على شهادة البكالوريوس ؟

أطلق (مجدى) ضحكة صفراء عالية ، قبل أن يقول :

— لا .. هذا لا يُقلقنى قطّ .

ثم أشار إلى الداخل ، مستطردًا :

— هيا .. استمتعا بالحفل ، وسيعرف الجميع سببه بعد قليل .. هيا .

ظلّ (مؤنس) واقفًا أمامه لحظات ، يحدجه بنظرات باردة ، ثم قال لـ(مروة) فى توتُّر :

— هيا بنا .

تابعهما (مجدى) بنظرة شامتة ، وهما يختلطان بباقى المدعوين ، وتألّقت عيناه ببريق الشر ، وهو يغمغم :

— لا تتبجّح كثيرًا يا (مؤنس) .. لقد دخلت الفخّ بقدميك ، ولن يلبث أن يُطبق على عنقك ، وينتزع (مروة) من بين ذراعيك .

واتسعت على وجهه ابتسامة ظافرة كبيرة ..

* * *

لم يستطع (مؤنس) التخلّص من ذلك التوتّر ، الذى لازمه منذ رؤيته لـ(مجدى) ، على الرغم من محاولته مقاومته ، حتى لا يفسد على (مروة) بهجتها ، ولكن (مروة) شعرت بتوتّره ، فسألته :

— أمازلت تشعر بالغضب ؟

حاول أن ينكر هذا ، ولكنه وجد نفسه يومىء برأسه إيجابًا ، ويقول فى مقت :

— إننى أبغض هذا الشابَ .

ثم أضاف فى عصبيّة :

— أراهنك أنه أخفى أمر هذا الحفل ، ليضمن حضورنا .

حاولت أن تهدئ من توتره، وهى تقول:

— لا تنظر إلى الأمر من منظور شخصى.. أنت تعرف (مجدى) وتفاهاته، ثم أنه دعا الجميع، ولم يدعنا وحدنا.

كان منطقها يخاطب العقل، ويتفق مع الواقع، ولكنه يختلف كثيرًا مع ذلك القلق، الذى يملأ نفسه منذ البداية، ولكنه خشى معارضتها، حتى لا يبدو فى صورة الرجل الغيور، الذى يفتقد الثقة بنفسه، والذى يتعامل مع كل الأمور من منطلق شخصى بحت، كما خشى فى الوقت نفسه، أن يحوّل سعادتها إلى قلق وتوتر، ويفسد الحفل الذى يبهجها حضوره، فتجاهل الأمر، أو حاول أن يفعل على الأقل، واندمج فى أحاديث مختلفة مع زملائه فى الحفل، لعلّ هذا يخرجه من توتره.

ثم صعد (مجدى) إلى منصة الحفل، مع (نوّار)، وقال فى حماس:

— أيها السيدات والسادة.. هلا أعرتمونى سمعكم لحظات؟

التفت إليه الجميع فى صمت وانتباه، فتابع بابتسامة واسعة:

— من المؤكد أنكم تتساءلون عن سبب إقامتى لهذا الحفل، الذى يضمنا جميعًا، ويسعدنى أن أجيبكم بأننا نحتفل هنا بتوقيع عقد جديد، بينى وبين شركتكم، وعلى رأسها السيدة (نوّار)، بمبلغ مائتى ألف جنيه.

ضغط حروف كلماته بشدة، وهو ينطق المبلغ، وعيناه تتطلّعان إلى وجه (مروة) فى اهتمام، ولكنها ظلت تبتسم فى مرح، وهى تصفق كالآخرين، فعاد يواصل إلقاء كلمته فى حماس..

ولم تستمع (مروة) إلى باقى حديثه فى الواقع..

فعلى الرغم من ابتسامتها، كان عقلها يسبح مع ذلك المبلغ الضخم، الذى يفوق أقصى ما تحلم به من ثراء، وتصوّرت نفسها — بعين الخيال — صاحبة هذه الثروة، التى تنهى مشكلة كل شهر وكل يوم..

وتلقى حياة الحاجة خلف ظهرها..

وتمنحها النعيم..

والراحة..

والعجيب أنها، حتى فى أحلامها، لم تتصوّر فكرة الانفصال عن (مؤنس)، حتى ولو كان الثمن هو كنوز الأرض

كلها، بل كانت تحلم بنعيم تحياه معه، وإلى جواره، وبينهما ابنهما (أحمد)، فأمسكت ذراع (مؤنس) دون وعى، وكأنما تضمه إلى حلمها الجميل، وربَّت هو على كفها الممسكة بذراعه فى حنان، فرفعت عينيها إليه، وابتسمت له فى حُبّ..

واشتعلت النيران أكثر فى نفس (مجدى)..

وازداد اصراره الشيطانى على تدمير هذه العلاقة..

وفى حركة مسرحية، لوَّح بذراعيه، هاتفًا:

ـ وفى حفلنا مفاجأة أكبر.

صمت لحظة، بعد قوله هذا، فاتجهت إليه كل الأنظار فى فضول واهتمام، قبل أن يستطرد، وهو ينظر نحو (مروة) مبتسمًا:

ـ ستمنح شركتى جائزة خاصة، قدرها خمسة آلاف جنيه، لأفضل زوجين فى الحفل.

عقد (مؤنس) حاجبيه فى ضيق، وخيِّل إليه أنه أدرك مقصد (مجدى)..

إنه مازال يسعى للتأثير على (مروة)..

لإدارة عقلها بأمواله..

مازال يرغب فى انتزاعها منه، على الرغم من فشله فى هذا قديمًا..

أما (مروة) فقد شرد ذهنها لحظة، عندما نطق (مجدى) المبلغ..

إنه يقصدها بالتأكيد..

هكذا توحى نظراته، التى وجَّهها إليها، وهو يقول هذا..

وهى تتمنى الحصول على هذه الجائزة..

تتمنى لو نالت مبلغًا كهذا، ينهى توتَّرهما واحتياجهما المادى لعام واحد، حتى تنتهى أقساط الشقة والأثاث..

ولكن (مؤنس) سيغضب حتمًا، لو حصلت هى على الجائزة..

سيغضب لأن (مجدى) هو الذى سيمنحهما إياها..

ولكنها تحتاج إلى هذه الآلاف الخمسة..

تحتاج إليها بشدة..

وانتزعها من شرودها صوت (مجدى) الجهورى، وهو يقول:

ـ من المؤكَّد أنكم جميعًا تتشوقون لمعرفة اسمى الزوجين الفائزين.. حسنا.. إنهما..

رفعت عينيها إليه، ورأته يتطلَّع إليها مبتسمًا، وخفق قلبها فى قوة، قبل أن يستطرد هو، مديرًا عينيه بغتة إلى اتجاه آخر:

ـ السيِّد (نوَّار) وزوجته.

تعالى هتاف الحاضرين، وارتفعت أصوات تصفيقهم الحار، فى حين تنهَّد (مؤنس) فى ارتياح، وشعرت (مروة) بإحباط عنيف، انتزع ابتسامتها المرحة من فوق شفتيها، وأحلَّ محلَّها ارتجافة مرارة، لم يكتمها سوى نظرة (مجدى) إليها، المحمَّلة بالشماتة والسخرية..

لقد تعمَّد هذا..

إنها واثقة من ذلك..

ولكن لماذا فعله؟..

لماذا؟..

* * *

قهقه (مجدى) ضاحكاً، وهو يجيب (سالم) على السؤال نفسه، قائلاً:

ـ إنها لعبة محبوكة يا صديقى، فأنا أعلم أنهما يحتاجان إلى المال، ومبلغ كهذا يكفى الكثير.. إنه سيخفِّف على الأقل احتياجاتهما العاجلة، وعندما نظرت إليها مبتسماً، كنت أعلم أنها ستظن نفسها المقصودة بالجائزة، وستحلم بامتلاك المبلغ، وفجأة ينهار هذا الحلم فى أعماقها.. أتعلم مايتركه هذا فى نفسها؟

أجابه (سالم):

ـ مزيج من الإحباط والمرارة والضيق.

هتف (مجدى) مزهوًا:

ـ تمامًا.. وهذا المزيج يجعلها فريسة سهلة، فى الجزء الثانى من الخطة.

سأله (سالم) فى قلق:

ـ وما هذا الجزء الثانى؟

قهقه (مجدى) ضاحكاً مرة أخرى، وقال:

ـ انتظر، وسترى بنفسك.

ثم تركه فجأة، واتجه إلى (نوَّار) وزوجته، فاستقبلاه بابتسامة عريضة، وقال (نوَّار):

ـ أشكرك على الجائزة يا (مجدى) بك، ولكن ألم يكن من الأجدى أن ينالها أحد موظفى الشركة؟

هزَّ (مجدى) رأسه نفيًا، وقال:

ـ لا.. كان هذا سيثير حسد وغيرة الباقين.

وابتسم ابتسامة لزجة، وهو يستطرد:

ـ ثم أننى قلت أفضل زوجين.. أليس كذلك؟

تهلَّلت أسارير زوجة (نوَّار)، وهى تقول:

ـــ أنت مجامل ممتاز يا (مجدى) بك، ولكن لو أردت رأيا عادلاً، فـ(مؤنس) وزوجته هما أروع زوجين فى هذا الحفل.

أومأ (نوَّار) برأسه إيجابًا، وقال:

ـــ هذا صحيح، فزوجته تمتلك جاذبية خاصة، لفتت انتباه الجميع.

شعر (مجدى) بالارتياح؛ لأن الحديث قد جذب نفسه إلى النقطة ذاتها، التى كان يرغب فى بلوغها، فقال بسرعة:

ـــ ما رأيك فيها كفتاة إعلان؟

هتف (نوَّار) فى حماس:

ـــ ستكون رائعة بالفعل.

مال (مجدى) نحوه، وقال:

ـــ سأزيد قيمة العقد بمقدار عشرين ألف جنيه، لو أمكنك إقناعها بالعمل فى إعلانات شركتى.

بدا العرض مغريًا لـ(نوَّار)، الذى قال:

ـــ ولِمَ لا؟.. سأخبرها مع (مؤنس) بعرضك هذا، و...

قاطعه (مجدى) بسرعة:

ـــ لا.. لست أفضِّل هذا.

تطلَّع إليه (نوَّار) وزوجته فى حيرة وتساؤل، فأضاف:

ـــ لقد كانت (مروة)، زوجة (مؤنس)، زميلتى فى كلية

التجارة، وأخشى أن أسبِّب لها الحرج، لو علمت أنها ستعمل من أجلى.. الأفضل أن تعرض أنت عليها العمل كفتاة إعلانات بشكل عام، وبعدها سيكون من السهل أن تعمل فى إعلانات الشركة.

أومأ (نوَّار) برأسه متفهمًا، وقال:

ـــ أنت على حق.

ثم التفت إلى زوجته، مستطردًا:

ـــ هيا.. ستضاعف فرصتى، لو شاركتنى محاولة إقناعها.

ـــ رآهما (مجدى) يتجهان إلى حيث (مؤنس) و(مروة)، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ظافرة، وهو يقول لنفسه:

ـــ كل شىء يسير على ما يرام.. لقد خسرت جائزة كبيرة يا عزيزتى (مروة)، وبعدها يأتيك عرض مغر، فهل يمكنك مقاومة هذا؟

ومن أعماقه، أطلق شيطان الشر ضحكة..

ضحكة ساخرة..

ومخيفة.

* * *

٦ — العرض ..

تطلّع (مؤنس) فى حيرة إلى زوجته، التى تلاشت ابتسامتها، وحلّ محلّها نوع من الضيق، رسم خطوطه على حاجبيها وشفتيها وعينيها، وتساءل فى أعماقه عمّا أصابها، وقد كانت صورة للبهجة والسعادة منذ قليل، ولما طال تساؤله، قرّر أن يلجأ إلى الأسلوب المباشر، فسألها:

— ماذا أصابك؟

أجابته بهزة خفيفة من رأسها، وقالت:

— لا شىء.. لقد انتقل قلقك على (أحمد) إلىّ.. ما رأيك لو غادرنا الحفل الآن، وعدنا إلى المنزل؟

قال فى قلق:

— لست أظن هذا يبدو لائقًا، قبل افتتاح (البوفيه).

أجابته فى حدة:

— هذا لا يعنينى.. لقد فقدت شهيتى.

تطلّع إلى عينيها مباشرة، بعينين تطلّ منهما حيرة كبيرة، وهو يسألها مشفقًا قلقًا:

— ماذا أصابك حقًا يا (مروة)؟

أجابت فى عصبية:

— قلت لك إننى قلقة بشأن (أحمد).

هزّ رأسه نفيًا، وهو يقول:

— لا.. هذا ليس السبب الحقيقى.. لن يمكن إقناعى بهذا، فلا أحد فى هذا العالم يفهمك مثلى.. إنك لست قلقة، بل غاضبة.

أشاحت بوجهها عنه، محاولة إخفاء شعورها الحقيقى، ولكنه سألها بغتة:

— هل ضايقك أننا لم نحصل على الجائزة؟

قالت فى مرارة:

— ألم يضايقك هذا أيضًا؟

أجابها فى حزم:

— بل أسعدنى.

التفتت إليه فى دهشة، فتابع بنفس اللهجة:

— صحيح أننا نعانى من متاعب مالية، ولكن هذا لا يعنى أن يسعدنى نيل جائزة من نقود (مجدى).. الرجل الوحيد الذى أبغضه، فى هذا العالم كله.

قالت متوترة :

ــ لماذا تبغضه إلى هذا الحد ؟

تطلّع إلى عينيها فى عمق، وهو يقول :

ــ أتجهلين السبب حقًّا ؟

لم تستطع مواجهة نظرته، فعادت تشيح بوجهها، متمتمة :

ــ لا بأس .. إنه لم يمنحنا إياها على أية حال .

هتف والدهشة تقطر من حروف كلماته :

ــ لست أدرى ماذا أصابك !!.. إنك لم تبد يومًا اهتمامًا بالمال، ولم يقلقك أمره قط .

قالت فى أسى :

ــ ولكن هذا المبلغ كان سيزيل الكثير من متاعبنا .

قال فى عصبية :

ــ أهذا رأيك ؟

نبهتها عصبيته إلى أنها قد تجاوزت الحد المعقول، فى التفكير هذه المرة، فتراجعت فى سرعة، وتطلّعت إليه فى استسلام واستكانة، قائلة :

ــ ولكن كنوز الدنيا كلها لا تساوى لحظة غضب منك .

شعر أنها إنما قالت هذا لإرضائه، وامتصاص لحظة غضبه. ولكنه لم يشأ إلقاء الوقود على النار، وفضّل تجاوز الأمر برمته، فى اللحظة التى وصل فيها (نوّار) وزوجته إليهما، وقالت زوجة (نوّار) مبتسمة :

ــ كيف حال أسعد زوجين فى الحفل ؟

استقبلتها (مروة) بابتسامة مصطنعة، وهى تقول :

ــ هذا السؤال ينبغى أن يتوجه إليك ياسيّدتى .. ألسنا أفضل زوجين هنا، باعتراف الجميع ؟

ضحك (نوّار)، وهو يقول :

ــ إنها مجرّد مجاملة عمل .

ثم سأل (مروة) مباشرة :

ــ أخبرينى ياسيّدتى .. هل تعملين، أم أنك ربة منزل ؟

ضحكت قائلة :

ــ بل ربة منزل، حتى هذه اللحظة .

سألها فى اهتمام :

ــ أيعنى هذا أنك لا تعارضين فكرة العمل ؟

هزّت كتفيها قائلة :

ــ بالطبع، فأنا لم أحصل على شهادة البكالوريوس، لأقبع فى المنزل .

التفتت زوجة (نوَّار) إلى (مؤنس)، وسألته:

ـ وماذا عنك يا (مؤنس)؟

ابتسم قائلاً:

ـ إننى أعمل بالفعل.

ضحكت لدعابته، ثم سألته:

ـ إننى جادة.. ألا تمانع فى عمل زوجتك؟

هزَّ كتفيه، مجيبًا:

ـ إننى ـ مثل أى رجل ـ أتمنى ألا تعمل زوجتى، وأن تكتفى بدورها كربة منزل، ولكن هذا يتوقَّف على رغبتها هى بالطبع، ولابد لى من احترام رأيها وقراراتها.

ابتسم (نوَّار) فى ارتياح، وهو يقول:

ـ عظيم.. فى هذه الحالة يسعدنى أن أخبرك، أن لدى عملًا لزوجتك.

تهلَّلت أسارير (مروة)، وهى تهتف فى سعادة:

ـ عمل؟!.. حقًّا يا سيِّد (نوَّار).

أما (مؤنس)، فقد قال فى حزم:

ـ لست أظن التوقيت يناسب هذا يا سيِّدى، فمازال ابننا رضيعًا، يحتاج إلى وجود أمه، و....

قاطعه (نوَّار):

ـ إنه عمل بسيط، لن ينتزع أمه منه طوال الوقت، بل ساعات معدودة فى الأسبوع:

وقالت (مروة) فى لهفة:

ـ ويمكنه أن يذهب إلى أمى، فى أوقات العمل.

ولكن (مؤنس) سأل (نوَّار) فى اهتمام:

ـ ومانوع هذا العمل، الذى لايحتاج إلا لساعات معدودة أسبوعيًّا؟

أسرعت زوجة (نوَّار) تهتف:

ـ فتاة إعلانات.

اتسعت عينا (مروة) فى سعادة وانبهار، وهى تهتف:

ـ فتاة إعلانات؟!.. أتعنين أن أظهر على شاشة (التليفزيون) ياسيِّدتى، وأن يصبح وجهى شهيرًا، و...

قاطعها (مؤنس)، وهو يقول فى صرامة:

ـ معذرة ياسيِّدى، ولكن هذا العمل لا يناسب زوجتى.

هوت العبارة على (مروة) كالصاعقة، فالتفتت إلى زوجها مشدوهة، وارتسمت خيبة الأمل بكل تفاصيلها على وجهها، ولكنها لم تنبس بكلمة اعتراض واحدة، فى حين قال (نوَّار) فى بساطة، وكأنه اعتاد مثل هذه الاعتراضات:

ـــ ومن أدراك أنه لا يناسبها ؟.. خذها كلمة من خبير إعلانات مثلى يا رجل.. زوجتك ستحوز شهرة رائعة فى هذا المجال.

تحسَّست زوجة (نوَّار) شعر (مروة)، وهى تضيف:

ـــ بالتأكيد، فهى تتمتّع بجاذبية نادرة.

وتابع (نوَّار) حديثه:

ـــ ثم إنك قلت منذ لحظات: إن الأمر يتوقّف على رغبة زوجتك.

والتفت إلى (مروة)، يسألها فى اهتمام:

ـــ ما رأيك يا سيّدتى؟

كانت تتمنى لو هتفت بالموافقة، ولكن نظرة واحدة إلى زوجها، وإلى الغضب المرتسم فى انعقادة حاجبيه، جعلها تغمغم:

ـــ المهم هو رأى زوجى.

هتفت زوجة (نوَّار):

ـــ بل هو رأيك أنت ؟.. إنك ستحصلين على خمسمائة جنيه على الأقل، فى الإعلان الواحد.

وأدرك (نوَّار)، بغريزة رجل الأعمال فى أعماقه، أن الأمر قد يتحوّل إلى مشاجرة مكتومة، فقال وهو يلوِّح بكفه:

ـــ لا بأس.. لست فى عجلة للحصول على قرار، يمكنكما بحث الأمر وحدكما، والعرض مفتوح، ويمكن للسيِّدة قبوله فى أية لحظة.

تمتم (مؤنس):

ـــ أشكرك يا سيِّدى.

وابتعد (نوَّار) مع زوجته، فتطلّعت (مروة) إلى زوجها فى صمت، فى انتظار ما سيقول، إلا أنه لاذ بالصمت بدوره، فلم تجد أمامها سوى أن تبدأ هى الحديث، قائلة:

ـــ ما رأيك ؟

أجابها فى صرامة:

ـــ لقد قلت رأيى بالفعل.

لم تشأ التخلّى عن الفرصة بهذه البساطة، فقالت فى رجاء:

ـــ ما الضير فى قبول هذه الوظيفة ؟.. ألم تسمع ما قاله زوجة (نوَّار) ؟.. إننى سأحصل على خمسائة جنيه على الأقل، فى الإعلان الواحد، وهذا يعنى ألف جنيه فى الشهر، لو ظهرت فى إعلانين فحسب.

قال فى حدة:

ـــ لست أهتمّ بالنقود.

هتفت فى صوت خافت :

ــ ولكننا نحتاج إليها فى واقع الأمر .. نحتاج إليها فى شدة .

عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ يمكنك احتمال العام الباقى ، وبعدها ستتعدّل الأمور .

هتفت :

ــ ولِمَ لا أقبل هذه الوظيفة ؟.. إنها ستوفر لنا ما نحتاجه من مال ، ولن تستنفد سوى القليل من وقتى .. إننى أراها وظيفة مثالية .

قال فى خشونة :

ــ لن تقبلينها لأننى أريد هذا ، ويكفينى هذا السبب .

لم يكن يدرى حقًا سر رفضه لهذا العرض ..

أهى طبيعة المهنة نفسها ؟..

أم هى رائحة (مجدى) ، التى تفوح من خلــف هذا العرض ؟..

لم يجد جوابًا منطقيًا لقلقه ، وأراحه أن (مروة) لم تستمر فى مناقشة الأمر ، وتصوَّر أن صمتها يقتل الفكرة فى مهدها ، فلاذ بالصمت بدوره ، وحاول معاودة الاندماج مع الآخرين ..

ولكن هيهات ..

لقد وضع الشيطان بذرة الشر ..

وبرز حاجز جديد .

* * *



٧ ـ البذرة ..

تألقت عينا (مجدى) ببريق ظافر، وارتسمت على شفتيه تلك الابتسامة المقيتة، التى تجمع ما بين السخرية والشماتة والاستخفاف، وهو يدير محرِّك سيارته، استعدادًا للعودة إلى منزله، بعد أن انفضّ الحفل، وعاد الجميع إلى منازلهم، فقال (سالم)، الذى يجلس إلى جواره:

ــ من يراك يتصوَّر أنك قد ربحت معركتك.

أجابه (مجدى) فى زهو:

ــ إننى لا أخسر معاركى أبدًا.

قال (سالم) فى حدة:

ــ ولكن (مروة) رفضت الوظيفة.

فوجىء بـ(مجدى) يطلق ضحكة عالية مجلجلة، وهو ينطلق بسيارته، قبل أن يقول فى سخرية:

ــ يالك من ساذج !!.. أهكذا ترى الأمور، يا مدير أعمالى الذكى؟

قال (سالم) فى ضيق:

ــ الأمور تبدو واضحة يا (مجدى).. لقد رفضت (مروة) العرض السخى، الذى بنيت عليه خطتك كلها.

قال (مجدى) فى سخرية:

ــ إنها لم ترفض العرض أيها العبقرى.. زوجها هو الذى رفضه.

قال (سالم) فى عصبية:

ــ وما الفارق؟

لوَّح (مجدى) بكفه، وهو يقول:

ــ الفارق رهيب يا صديقى، فالأمر على هذا النحو يعنى أن (مروة) توافق على هذا العرض، ولكن زوجها يرفضه، ويعنى أيضًا أنه فى لحظة ما، قد تتجاهل (مروة) رفض زوجها، وتقرِّر قبول العرض.

قال (سالم) متحديًا:

ــ ومتى تأتى هذه اللحظة؟

أطلق (مجدى) ضحكة مخيفة، قبل أن يجيب:

ــ اطمئن، مادام يعانيان من الاحتياج للمال، فستأتى هذه اللحظة حتمًا، إن عاجلًا أو آجلًا، المهم ألا تنزع (مروة) الفكرة من رأسها قط.

ثم ابتسم ابتسامته الرهيبة مرة أخرى، مستطردًا فى خبث:

ـــ ولن يمكنها أن تفعل.. أبدًا..

* * *

على الرغم من حقارة (مجدى) وسخافته، إلا أنه من المؤكَّد أن حياة الشر قد جعلته خبيرًا بالطبائع البشرية، فلم تستطع (مروة) أبدًا انتزاع ذلك العرض من تفكيرها، حتى بعد أن عادت إلى منزلها، وأعادت ابنها..

وحتى بعد أن استسلم (مؤنس) لنوم عميق..

لقد ظلت ساهرة، تفكِّر فى ذلك العرض، وفى قيمة المبلغ، وما يمكنه أن يفعله بحياتهما، التى يلتهمها القلق، ويرهقها البحث الدائم عن حلول اقتصادية لاستكمال المصروفات الشهرية..

وراحت تحلم..

تحلم بالشهرة..

بالمال..

وفى أحلامها رأت نفسها ترفل فى ثياب حريرية ثمينة، وتتحلَّى بالذهب والمجوهرات، وتصفِّف شعرها عند أشهر مصففى الشعر..

والعجيب أنها كانت أوَّل مرة يجذبها التفكير المادى إلى هذا الحد..

ربما لأنها لم تعان يومًا، مثلما عانت فى هذه الأيام..

صحيح أن والدها لم يكن ثريًا بالمعنى المعروف، ولكن راتبه كان يكفى للإنفاق على المنزل، دون أن تشعر عائلته بالحاجة..

وهى تحلم بالعودة إلى مثل هذه الأيام..

وتحلم أكثر بالتفوق عليها..

ومع أرقها، نهضت تتأمَّل صغيرها فى حنان..

كم من الأشياء يمكنها أن تبتاعها له، بكل هذا المبلغ..

كم يمكنها أن تسعده به..

وبكل الحنق الرابض فى أعماقها، هتفت:

ـــ لعنة الله على المال.

شعرت لحظتها أنه حتى السعادة تحتاج إلى المال..

المال يمنح المتعة، أو قدرة الحصول عليها على الأقل..

وعادت إلى فراشها، ولكن جفنيها لم ينعما بالنوم لحظة واحدة، حتى أشرقت الشمس، واستيقظ (مجدى) على بكاء الطفل، قبل أن تلتقطه هى لإرضاعه، ففرك عينيه وتثاءب،

وتطلّع إلى وجهها الشاحب لحظة، قبل أن يعتدل فى قلق. ويسألها:

ــ ماذا بك؟.. أأنت متعبة؟

قالت فى تهالك:

ــ إننى لم أذق طعم النوم بعد.

سألها فى جزع:

ــ لماذا؟

تطلّعت إليه لحظة فى صمت، ثم أشاحت بوجهها، قائلة:

ــ كنت أفكّر فى عرض (نوّار).

عقد حاجبيه فى غضب مرة أخرى، وهو يقول فى حدّة:

ــ عرض (نوّار)؟!.. كنت أظننا قد حسمنا هذا أمس.

هتفت فى ضيق:

ــ بل قل أنك أنت حسمته، فأنا لم أدل برأيى بعد.. لم تمنحنى حتى فرصة الإدلاء به.

قال فى غضب:

ــ أى رأى.. إننى أرفض أن تتخذى هذه المهنة، مهما كان العائد منها.

صاحت:

ــ تتحدث كما لو أننا لا نحتاج إلى المال.

هبّ من فراشه، صارخًا:

ــ حتى لو كنا نحتاج إلى كل نقود الدنيا، لن أقبل عملك هذا.

سألته فى حدّة:

ــ لماذا؟.. إنه مجرّد عمل، لا يختلف عن غيره من الأعمال، وهو عمل شريف، و...

قاطعها فى ثورة:

ــ قلت إنك لن تمتهنى هذه المهنة، ولن أناقش هذا الأمر أكثر من ذلك.

واندفع خارج الحجرة، وصفق بابها خلفه فى عنف، فانفجر الصغير باكيًا، وكأنما شعر بالتوتّر الذى ساد المكان، فى حين غَصّ حلق (مروة) بمرارة كبيرة، وشعرت وكأنها تختنق حنقًا وألمًا..

كانت أوّل مرة تتشاجر فيها مع (مؤنس)..

أوّل مرة تبلغ الأمور فيها هذا الحدّ..

ما الذى أصابهما؟..

أى شيطان أفسد حياتهما السعيدة؟..

أهو الفقر ؟..
أم هو الطمع ؟..
وضعت كل الاحتمالات نصب عينيها ، فيما عدا احتمال واحد ..
أن يكون السبب بشريًا ..
أو هو نصف شيطان ..

* * *

لم يشعر (مؤنس) أبدًا بالإرهاق ، مثلما شعر به فى ذلك الصباح ، وهو يدخل مكتبه بالشركة ..
لم يكن التعب هو مبعث إرهاقه ، بل كان توتره العصبى ..
كانت أعصابه ثائرة ، على نحو لم يعهده فى نفسه ، منذ زواجه من (مروة) ..
وفى أعماقه كان هناك بركان متفجّر ، يموج بالحمم ..
ما الذى حدث ؟..
كيف تحوّل اهتمام (مروة) إلى المال ، على هذا النحو ؟..
ما الذى أصابها ؟..
أهى على حق فى قبولها عرض (نوَّار) ؟..
لماذا يصرّ هو على رفضه بهذا العنف ؟..

كل هذه الأسئلة راحت تدور فى عقله ، وتبحث عن أجوبة مناسبة ، وهو يجلس خلف مكتبه شاردًا متوتّرًا ، إلى أن انتزعه من شروده صوت مألوف ، يقول فى لزوجة :
ـــ صباح الخير يا (مؤنس) .
رفع عينيه فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، وتفجّرت دهشة كبيرة فى أعماقه ، عندما رأى (مجدى) أمامه ، يبتسم تلك الابتسامة ، التى يبغضها أكثر من أى شىء آخر فى الدنيا ، وهو يستطرد :
ـــ لم أشأ مقابلة (نوَّار) ، قبل أن ألقى عليك تحية الصباح أوَّلًا .
نهض (مؤنس) يصافحه ، وهو يقول :
ـــ مرحبًا بك فى أى وقت يا (مجدى) .
صافحه (مجدى) ، وهو يتطلّع إلى وجهه مبتسمًا ، ثم جلس على المقعد المقابل لمكتبه ، وهو يقول بلهجة ماكرة :
ـــ هل تنطق العبارة من قلبك ؟
سأله (مؤنس) فى دهشة :
ـــ ماذا تعنى ؟
ابتسم (مجدى) ، وهو يقول :

— أعنى هل ترحّب بى حقًا ؟

كان السؤال مباشرًا ، على نحو لم يتوقّعه (مؤنس) ، مما جعله يرتبك ، ويغمغم فى توتّر :

— بالطبع يا (مجدى) .. إننا زميلان من أيام الدراسة ، و ...

تراجع (مجدى) فى مقعده ، وهو يقاطعه قائلًا :

— على أية حال ، أنا هنا لأعتذر .

لم يفهم (مؤنس) معنى كل هذا ، فسأله مرة أخرى فى دهشة :

— عن ماذا ؟

أجابه (مجدى) فى دهاء :

— عن أى شىء تتصوَّر أننى قد أخطأت فيه نحوك ، فأنا أشعر أنك — لسبب ما — ترفض منحى ثقتك أو صداقتك .

ثم مال نحوه ، راميًا آخر سهامه ، وهو يستطرد :

— أى دليل تطلبه منى ، لكى أحوز ثقتك ؟

لم يدر (مؤنس) بما يجيب ، وقد أربكه أسلوب (مجدى) الخبيث ، فغمغم مرتبكاً :

— يبدو أنك قد أسأت فهم الأمور يا (مجدى) .. أو ...

قاطعه (مجدى) فى اهتمام :

— أتعنى أنك تثق فى بالفعل ؟

أجابه (مؤنس) :

— بالطبع .

لم يكد ينطقها حتى قرع جرس ضخم فى عقله ..

لقد أوقعه (مجدى) فى الفخ ..

جعله يؤكّد له ثقته به ، وسينتقل حتمًا إلى النقطة التالية على الفور ..

سيطلب منه إثباتًا لهذه الثقة ، وسيكون هذا الإثبات على شكل قبول دعوة عائلية ، فى مكان فاخر ، أو ...

قاطع (مجدى) أفكاره هذه المرة ، وهو ينهض قائلاً :

— هذا يكفينى يا استاذ (مؤنس) .

ثم مدّ يده يصافح (مؤنس) ، ويبتسم فى وجهه ابتسامة هادئة ، تختلف كثيرًا عن ابتسامته التقليدية المقيتة ، وهو يستطرد :

— يسعدنى أن أسمع منك هذا .

ثم استدار منصرفًا ، دون أن ينتقل إلى النقطة التالية ، التى كان يتوقّعها (مؤنس) ، مما جعل هذا الأخير يغمغم فى دهشة .

ــ ولكن!
التفت إليه (مجدى) فى سرعة، قائلًا:
ــ ولكن ماذا؟
ارتبك (مؤنس) مرة أخرى، وقال:
ــ أقصد أنك لم تتناول شيئًا بعد.
ابتسم (مجدى)، وهو يقول:
ــ فى المرة القادمة بإذن الله.
وغادر المكتب فى خطوات سريعة، دون أن يتيح لـ(مؤنس) فرصة نطق كلمة أخرى، وتركه غارقًا فى حيرته..
أهذا هو (مجدى) الذى يعرفه؟!..
هل أخطأ الحكم عليه طيلة الوقت؟..
أم أنها خدعة جديدة، يعدّ (مجدى) العدّة لها؟!..
وفى نفس الوقت، الذى غرق فيه فى أفكاره، كان (مجدى) يجلس مع (سالم)، الذى يقول فى حيرة:
ــ صدقنى يا (مجدى)، لم أعد أفهم بالضبط ما ترمى إليه.
أشار (مجدى) إلى رأسه فى زهو، وهو يقول:
ــ ولن يمكنك الفهم؛ لأنك لا تملك عقلًا كعقلى.
ابتسم (سالم) فى ضيق، وهو يقول:

ــ أحمد الله على ذلك، ولكننى حقًّا لا أفهم ما تفعله، فما معنى زيارتك لـ(مؤنس)؟
تراجع (مجدى) فى مقعده، وتطلّع إلى (سالم) لحظات فى صمت، قبل أن يسأله:
ــ هل سبق لك أن مارست رياضة صيد الأسماك؟
تنهّد (سالم)، فى محاولة للسيطرة على أعصابه، وهو يقول:
ــ أنت تعلم أنه لم يسبق لى أن فعلت.
ابتسم (مجدى) ابتسامته المقيتة، وهو يقول:
ــ أنت لا تعلم إذن أن صيد الأسماك يحتاج إلى الصبر، وإلى اختيار الطعم المناسب، لكل نوع من الأسماك، وأنا الآن أطبق قواعد الصيد على فريسة بشرية، وهى (مروة)، وأعلم أنها ليست فريسة عادية؛ لأنها تحب زوجها، ولأن زوجها لا يثق فىَّ أبدًا؛ لذا ينبغى أن أنتزع من الفريسة نقطة تفوّقها أوّلًا، ثم ألقى لها الطعم المناسب، وبهذا أضمن وقوعها فى شباكى.
قال (سالم) فى ضيق:
ــ أتتصوّر أنك قد شرحت لى الأمر هكذا؟
مطّ (مجدى) شفتيه، وهزّ كتفيه قائلًا:

ــ ألم أقل لك إنه من الصعب أن تفهم؟
قال (سالم) فى عصبية:
ــ حاول أن تشرح لى على الأقل.
أطلق (مجدى) ضحكة طويلة، تموج بالزهو والغرور، وكأنما أسعده أن يثير حيرة وتوتّر صديقه ومدير أعماله، على هذا النحو، ثم قال:
ــ فليكن.. سأشرح لك خطتى باختصار.
ثم مال نحوه، مستطردًا:
ــ إن عدم ثقة (مؤنس) فىَّ تصنع بينه وبينى حاجزًا، ينتقل دون وعى منى أو منه إلى زوجته، فتتعامل معى بشك أيضًا، ولو أننى عرضت عليها العمل كفتاة إعلانات، لرفضت دون تردد، بسبب هذا الشك، ولهذا دفعت (نوَّار) إلى تقديم العرض بدلًا منى، وكنت أعلم أن (مؤنس) سيرفض عرضه، خشية أن تكون لى يد فيه، ولهذا زرته هذا الصباح، محاولًا تبديد بعض ضباب عدم الثقة، الذى يحول بينى وبينه، وسيخفف هذا من حدة توتّره، ويُضعف مقاومته، عندما تتملك الفكرة من (مروة)، ويدفعها نقص مواردهما إلى التفكير فيها، والاتجاه إليها، كطوق نجاة أخير من أزمتهما المالية.

سأله (سالم) فى حيرة:
ــ وماذا يفيدك من عملها كفتاة إعلانات؟!. إنك بهذا تمنحها وظيفة ممتازة، وتقضى بنفسك على آخر فرصة، قد تمنحك التفوّق.
تطلَّع إليه (مجدى) فى سخرية، وهو يقول:
ــ أتظن هذا؟
ثم انفجر ضاحكاً على نحو مخيف، ارتجفت له أوصال (سالم)، الذى أدرك أنه لا يجلس فى حضرة بشر، وإنما فى حضرة شيطان مريد، نبت فى قلب الجحيم..
جحيم الدنيا..

* * *



٨ ــ القدر ..

« أين ذهبت ؟ »

ألقت (مروة) هذا السؤال على زوجها فى خفوت ، وهى تتطلّع إليه فى قلق ، فانتفض من شروده ، وأدار عينيه إليها ، يسألها فى ارتباك :

ــ ماذا ؟

كان من الواضح أنه لم يسمع حرفًا مما قالته ، فكرَّرت سؤالها مشفقة :

ــ أين ذهبت ؟.. إنك شارد البصر والفكر منذ نصف الساعة على الأقل .. ما الذى يقلق بالك هكذا ؟

تنهَّد فى عمق ، وتردَّد فى إخبارها عما يدور فى أعماقه ، إلا أنه لم يلبث أن صارحها قائلًا :

ــ لقد جاء (مجدى) لزيارتى اليوم .

هتفت فى دهشة :

ــ (مجدى) ؟!.. وماذا أراد ؟

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ــ لا شىء .. جاءَ يسألنى عن سر عدم ارتياحى إليه

أدهشها هذا الأسلوب ، كما أدهش (مؤنس) من قبل ، فردَّدت :

ــ يسألك عن ماذا ؟

هزَّ (مؤنس) رأسه ، معبّرًا عن حيرته ، وهو يقول :

ــ لست أدرى لماذا فعل هذا ؟!.. لقد تصوَّرت فى البداية أنه سيعقب هذا بطلب ما ، ولكنه لم يفعل !!.. قال هذا وانصرف .

عقدت حاجبيها مفكِّرة فى الأمر ، ثم قالت فى حذر :

ــ ربما يسعى إلى توريطك فى أمر ما ، بصفتك مدير حسابات الشركة .

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا أعتقد هذا ، فالجميع يعلمون أن السيِّد (نوَّار) يتولَّى كل الأمور المالية بنفسه ، وأن عملى يقتصر على قيد الدفاتر الرسمية ، والحسابات الضرائبية .

تملكتها الحيرة لحظات ، ثم لم تلبث أن هزَّت رأسها ، مغمغمة :

ـ ربما أخطأنا الحكم على (مجدى) طوال الوقت.
تطلّع إليها فى صمت، قبل أن يقول:
ـ يصعب علىّ تصوّر هذا.
سألته فى بساطة:
ـ لماذا؟.. إنه لم يفعل شيئًا ضدنا من قبل.
ثم ضحكت مستطردة:
ـ ولكنك تغار منه.
هتف معترضًا ومستنكرًا:
ـ أنا؟!
مالت نحوه، تطبع قبلة على وجنته، قائلة:
ـ وهذا يسعدنى دائمًا.
قطع قولها هذا خط المناقشة، فاكتفى (مؤنس) بتنهيدة عميقة، قبل أن يقول:
ـ على أية حال، ليس لدينا ما نفعله.. سننتظر حتى تفصح الأيام عن الحقيقة.
ولم يكن لديهما فعلاً سوى الانتظار..
والأمل..

* * *

لم يكد (سالم) يلمح (مجدى)، وهو يدخل مكتبه، حتى هتف به:
ـ أين كنت يا (مجدى)؟.. إننى أحتاج إلى توقيعك على بعض الأوراق.
ضحك (مجدى) فى سخرية، وهو يقول:
ـ ماذا أصابك يا (سالم)؟.. يخيل إلىّ أحيانًا أنك تنسى من منا صاحب هذه الشركة.
مطّ (سالم) شفتيه، وهو يقول فى ضيق:
ـ إننا صديقان قبل كل شىء.
جلس (مجدى) خلف مكتبه، وهو يقول:
ـ حسنًا أيها الصديق.. هات الأوراق التى تريد توقيعى عليها.
قدّم له (سالم) الأوراق، وهو يسأله:
ـ هل يمكننى أن أعرف أين كنت؟
أجابه (مجدى)، وهو يذيّل الأوراق بتوقيعه:
ـ فى شركة (نوّار).
تطلّع إليه (سالم) لحظة فى صمت، قبل أن يسأله:
ـ أمازلت تأمل الإيقاع بـ(مروة)؟

هزَّ (مجدى) كتفيه، وقال :
ــ ولِمَ لا ؟
قال (سالم) فى حذر :
ــ لقد تلقَّت العرض منذ شهر كامل، ولم توافق عليه بعد .
ابتسم (مجدى)، قائلاً :
ــ إننى صبور أكثر مما تتوقَّع .
قال (سالم) فى صرامة :
ــ المهم أن يلوح أى أمل .
أنهى (مجدى) التوقيع على الأوراق، وأعادها إلى (سالم)، وهو يقول :
ــ لا تفقد الأمل أبدًا يا صديقى .
سأله (سالم) فى صراحة :
ــ هل تتوقَّع موافقة (مروة) على العرض يومًا ؟
ابتسم (مجدى) فى ثقة، وهو يقول :
ــ بالتأكيد .
ثم نهض من خلف مكتبه، ومال بوجهه نحو وجه (سالم)، مستطردًا :
ــ إنها مسألة وقت يا رجل .. صدقنى .. مجرَّد وقت .

وغادر مكتبه فى هدوء ..
وثقة ..

* * *

ارتفع رنين الهاتف فى مكتب (مؤنس)، فى منتصف النهار تقريبًا، فمدَّ يده فى آلية، يلتقط سمَّاعة الهاتف، ويضعها على أذنه، قائلاً :
ــ هنا شركة (نوَّار) للدعاية والإعـ ...
قاطعه صوت (مروة)، وهى تقول فى انفعال شديد :
ــ أنا (مروة) يا (مؤنس) .. عد بسرعـة .. (أحمد) متوعك بشدة .
كادت أصابعه تعتصر سمَّاعة الهاتف، وهو يهبّ من مقعده، هاتفًا :
ــ ماذا به ؟.. ماذا أصابه ؟
أجابته باكية :
ــ إنها نزلة معوية حادة .. لقد شحب كثيرًا، حتى ليخيَّل إلىَّ أنه قد فقد نصف وزنه، خلال الساعتين الأخيرتين .
هتف :
ــ سأحضر على الفور .

ثم اندفع خارج مكتبه، وقال للسكرتيرة (عزة)، وهو يغادر الشركة عدوًا:

ـــ أخبري السيد (نوَّار) أنني اضطررت للانصراف، فابني مريض بشدة.

هتفت في انزعاج:

ـــ سأخبره.. شفا الله (سبحانه وتعالى) الطفل.

لم يدر (مؤنس) كيف عثر على سيارة أجرة، وكيف بلغ منزله، ولكنه لم يكد يرى شحوب طفله الشديد، حتى فقد ما تبقَّى من أعصابه، وصاح في وجه (مروة):

ـــ كيف تركته حتى بلغ هذا الحدّ؟.. إنه يكاد يموت.

بكت في حرارة، وهي تقول:

ـــ لم أدر ماذا أفعل؟

حمل ابنه في سرعة، وصاح بها:

ـــ أسرعي.. لابد من عرضه على طبيب متخصِّص.

راحا يركضان عبر الطريق، إلى عيادة طبيب شاب، عند ناصية الشارع، وأولاهما الطبيب اهتمامه كله، وفحص الطفل بكل عناية، ثم هزّ رأسه في أسف، قائلًا:

ـــ إنه مصاب بحالة جفاف شديدة.

سأله (مؤنس) في ذعر:

ـــ وماذا نفعل؟

هزَّ رأسه مرة أخرى، وقال:

ـــ إنه يحتاج إلى دخول مستشفى تخصّصي؛ فلابد من نقل بعض المحاليل إلى دمه على الفور، أو...

صمت لحظة. قبل أن يضيف في خفوت:

ـــ أو ينتقل إلى جوار ربه.

شهقت (مروة) في رعب، واحتضنت ابنها وهي تبكي في حرارة، في حين ارتجفت الكلمات على شفتي (مؤنس)، وهو يقول:

ـــ هل تقترح مستشفى بعينه؟

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا، وقال:

ـــ نعم.. هناك مستشفى الدكتور (حازم جودة)، على مقربة من هنا؛ فلديهم وحدة خاصة لعلاج الجفاف.

حمل (مؤنس) طفله، وأسرع ملتاعًا إلى مستشفى الدكتور (حازم)، وهناك استقبله طبيب آخر، فحص الطفل في سرعة، ثم أيد قول الطبيب السابق، قائلًا:

ـــ إنه يحتاج إلى المحاليل بسرعة، قبل فوات الأوان.

هتف به (مؤنس) :

ـ وماذا تنتظر ؟

تردّد الطبيب لحظة ، قبل أن يقول :

ـ إننا مستشفى خاص ، ومن الضرورى سداد مبلغ التأمين أوّلاً ، قبل قبول الطفل فى المستشفى ، وعلاجه داخلها .

هتف (مؤنس) فى غضب :

ـ أى مستشفى هذا ؟.. وكم قيمة التأمين ؟

تردّد الطبيب لحظة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ خمسمائة جنيه كدفعة أولى .

شحب وجه (مؤنس) ، وأطلقت (مروة) شهقة أخرى ، فى حين تابع الطبيب :

ـ يمكنكما نقله إلى مستشفى عام ، أو ...

قاطعه (مؤنس) فى ثورة :

ـ أتعلم كم يبعد عنا أقرب مستشفى عام ؟

ارتبك الطبيب ، وهو يقول :

ـ معذرة ياسيّدى .. إننى مجرّد موظف هنا ، ولست أملك المكان ، وهذا يضطرنى لطاعة الأوامر ، و ...

قاطعه (مؤنس) مرة أخرى فى غضب :

ـ وهل تقتضى تلك الأوامر مخالفة أعراف وقوانين الطب ، وتجاوز الرحمة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ؟

راح الطبيب يتلفّت حوله ، بحثًا عن مهرب من هذا الموقف ، وهو يقول :

ـ وماذا يمكننى أن أفعل ؟. إنها الأوامر .

انفجرت (مروة) باكية بغتة ، وهى تصرخ :

ـ ابنى سيموت .. ابنى سيموت .

كهرب صراخها الجوّ داخل المستشفى ، وتضاعف ارتباك الطبيب ، فقال بسرعة :

ـ يمكننا حل المشكلة بتوقيعك شيك بالمبلغ ، بضمان وظيفتك ، على أن تسدّد المبلغ صباح الغد ، و ...

هتف (مؤنس) :

ـ فليكن .. أين يمكننى توقيع هذا الشيك ؟

قاده الطبيب إلى مكتب الحسابات بالشركة ، وشرح لهم الأمر ، وترك (مؤنس) هناك يوقع الأوراق اللازمة ، وحمل هو الطفل إلى الداخل ، لإسعافه وعلاجه ..

ولم تتوقّف (مروة) عن البكاء ، حتى عاد إليها (مؤنس) ، وألقى جسده على المقعد المجاور لها ، وهو يتنهّد قائلاً :

ــ ياله من روتين بغيض !
قالت فى وسط دموعها :
ــ ابنى سيموت .
أحاط كتفها بذراعه ، وهو يقول :
ــ سينجو بإذن الله يا (مروة) .
قالت فى مرارة :
ــ كانوا سيتركونه يموت أمام أعيننا ، بسبب النقود .
قال فى أسى :
ــ لقد وقّعت الشيك المطلوب ، وسأطلب غدًا سلفة أخرى ، و ...
قاطعته فى عصبية :
ــ لقد أصبحت أمقت هذه الحياة ..
قال متوترًا :
ــ (مروة) .. سنحتمل بضعة أشهر ، و ...
قاطعته مرة أخرى فى حدّة :
ــ لن أحتمل .. لم أعد أحتمل ..
ثم انعقد حاجباها فى صرامة ، وهى تقول :
ــ لقد اتخذت قرارى يا (مؤنس) ، ولن أتراجع عنه أبدًا .

تطلّع إليها فى تساؤل ، فأضافت فى حزم :
ــ سأقبل عرض (نوّار) .
وأسقط فى يده .

* * *



٩ ـــ التحوّل ..

اندفع (سالم) داخل حجرة سكرتيرة (مجدى) الخاصة، وهتف بها فى انفعال:

ــ هل وصل (مجدى)؟

ارتبكت السكرتيرة لانفعاله الشديد، وهى تجيب:

ــ نعم يا أستاذ (سالم).. لقد وصل منذ نصف ساعة، و...

لم يستمع إلى باق حديثها، وإنما اقتحم حجرة (مجدى) دون استئذان، فهتف به هذا الأخير فى غضب:

ــ ما هذا؟

أجابه (سالم):

ــ لقد قبلت (مروة) عرض (نوّار).

هبَّ (مجدى) من مقعده، وهتف بكل ما اندفع إلى قلبه من انفعال:

ــ قبلته؟!.. أحقًا ما تقول؟

أومأ (سالم) برأسه إيجابًا، وقال:

ــ نعم.. قبلته صباح اليوم، وهى الآن فى الشركة، تستعد لعمل اختبار تصوير.

برقت عينا (مجدى) فى ظفر شيطانى، وهو يقول:

ــ كنت أعلم أن هذا سيحدث فى النهاية.. كنت واثقًا من هذا.

ثم سأل (سالم) فى لهفة:

ــ ولكن كيف وافقت فجأة هكذا؟

ألقى (سالم) جسده على أقرب مقعد إليه، وهو يقول:

ــ لقد أصيب ابنها بنزلة معوية حادة، وكاد يلقى مصرعه، بسبب افتقارهما إلى المال اللازم، لدفع التأمين الابتدائى بالمستشفى، فقرَّرت قبول العرض على الفور.

سأله فى اهتمام:

ــ وهل نجا ابنها؟

تطلَّع إليه (سالم) بابتسامة ساخرة، وهو يقول:

ــ عجبًا!!.. هل تسلّلت بعض المشاعر البشرية إلى قلبك خلسة؟

عقد (مجدى) حاجبيه، وهو يقول:

ــ إنه سؤال استراتيجى أيها الغبى، فلو نجا ابنها ستكون أشدَّ لهفة على قبول العرض، حتى لا تتعرَّض لهذا الموقف مرة أخرى.. هل فهمت؟

قال (سالم)، بنفس الابتسامة الساخرة:

ــ آه.. هذا يتوافق مع (مجدى) الذى أعرفه.. نعم يا رجل.. لقد نجا الطفل أمس، وتجاوز مرحلة الخطر تمامًا، وسدَّد (نوَّار) فاتورة المستشفى كلها، خصمًا من حساب (مروة) فى المستقبل، أى أنها لم تعد تستطيع التراجع عن موافقتها.. هل يسعدك هذا؟

برقت عينا (مجدى)، وهو يقول:

ــ بالتأكيد:

ثم سأله فى اهتمام:

ــ ولكن من أين علمت كل هذا؟

ضحك (سالم)، وهو يقول:

ــ لقد أخبرتنى به (عزة)، سكرتيرة شركة (نوَّار)، فلنا وهى نحب بعضنا البعض.

ابتسم (مجدى) فى خبث، وهو يقول:

ــ لقد فهمت.

قال (سالم) فى اهتمام شديد:

ــ هل ستذهب لرؤيتها، وهى تجرى اختبارها الأوَّل، أمام آلات التصوير؟

هزَّ (مجدى) رأسه نفيًا، وهو يقول:

ــ لن أفعل بالطبع.

هتف (سالم) فى دهشة:

ــ لن تفعل؟!.. لقد تصوَّرت أنك ستهرع إلى هناك، فور سماعك الخبر.

ابتسم (مجدى) فى دهاء، وهو يقول:

ــ لأنك غبى.

عقد (سالم) حاجبيه فى غضب، فى حين استطرد (مجدى):

ــ لو أننى هرعت إلى هناك ــ كما تتصوَّر ــ فسيكون هذا أشبه باعتراف بأننى المسئول عن كل هذا، أو أننى خلفه على أقل تقدير، أما لو تجاهلت الأمر تمامًا فى البداية، فسيزيد هذا من ثقة (مؤنس) بى، ومن احتمالات نجاح خطتى.

تطلَّع إليه (سالم) لحظات فى صمت، ثم قال:

ــ إنك تخيفنى أحيانًا يا (مجدى).

أطلق (مجدى) ضحكة عالية، وقال:

ـــ أحيانًا ؟!.. كنت أتوقّع أن تقول: دائمًا يا صديقى.

وواصل ضحكته المخيفة..

* * *

شعرت (مروة) بتوتر حقيقى، وهو تقف داخل قاعة التصوير الخاصة بالشركة، وأضواء المصابيح تسطع فى وجهها، وعدد من العاملين بالمكان يتحركون فى عدة اتجاهات، وأحدهم يضيف لمحات من أدوات وأصباغ الزينة إلى وجهها، وآخر يحدّد النقطة التى ينبغى أن تقف فيها، ومخرج الإعلانات يشرح لها دورها قائلاً:

ـــ كل المطلوب منك فى الاختبار، هو أن تمسكى علبة الحلوى، ثم تبتسمين لآلة التصوير، وتقولين فى انبهار: «إنها أعظم حلوى تذوّقتها».. هل فهمت دورك؟

أومأت برأسها إيجابًا، فهتف:

ـــ عظيم.. هيا.. استعدوا يا رجال.

بدا المكان أشبه بخلية نحل، يعمل كل من فيها لإجراء الاختبار، مما أورثها شيئًا من العصبية، جعلها تبحث بعينيها عن زوجها (مؤنس)، حتى وقع بصرها عليه، وهو يقف ساكنًا

صامتًا فى أحد الأركان، يتابع كل ما يحدث بوجه أخفى ظلام الركن انفعالاته، وتمنت لحظتها لو تركت كل هذا، وألقت نفسها بين ذراعيه، ولكنها لم تلبث أن تذكّرت أزمة ابنها، الذى كاد يلقى حتفه لحاجتهما إلى المال، فأجبرت نفسها على تحمّل الوضع، وأبعدت عينيها عن زوجها، وحاولت الانشغال بما حولها..

أما (مؤنس)، فقد وقف يراقب كل هذا صامتًا، وهو يشعر باختناق فى حلقه، يبذل أقصى جهده للتغلّب عليه دون جدوى..

لم يكن يستطيع رفض هذا العمل، بعد موقف ابنهما، ولكنه لم يكن يستطيع قبوله فى الوقت ذاته..

لم يكن ذلك القلق المبهم قد فارقه بعد، بل لقد تزايد وتضاعف، عندما قبلت (مروة) العمل، على الرغم من ثقته فى أنه عمل عادى، لا يتجاوز قواعد الأخلاقيات..

ومن أعماقه تمنّى لو أن (مروة) فشلت فى الاختبار، أو عجزت عن القيام بدورها المحدود خلاله، حتى ينتهى الأمر دون تدخله..

وانتابه حنق شديد، وسخط على نفسه..

وتولّاه شعور عنيف بالعجز ..

العجز الذى منعه من مداواة ابنه فى أفضل مستشفى، عندما احتاج إلى ذلك ..

والذى منعه من رفض عمل زوجته ..

وغَصّ حلقه بالفكرة، فانكمش فى مكانه، وتطلّع إلى العمل بعينين زائغتين، حتى قال المخرج فى حزم:

ــ هيا .. ابدأوا العمل.

رَانَ الصمت التام داخل قاعة التصوير، وتركّزت الأنظار كلها على وجه (مروة)، التى ازدردت لعابها فى عصبية، والمخرج يسألها:

ــ أمستعدة أنت؟

أومأت برأسها إيجابًا، فالتفت إلى الطاقم المصاحب له، قائلًا:

ــ هيا .. ابدأ.

دارت آلات التصوير، وخفق قلب (مؤنس) فى قوة، وهو يعتدل متطلعًا إلى زوجته فى اهتمام بالغ، وهو يكرّر فى أعماقه أمنيته بفشل الاختبار، فى حين قاومت (مروة) عصبيتها، وهى ترسم على شفتيها ابتسامة عذبة، وتلتقط علبة الحلوى، وتواجه آلات التصوير، قائلة فى رقة مدهشة:

ــ إنها أعظم حلوى تذوقتها.

ثم صمتت محتفظة بابتسامتها، وخيِّل إليها أن القاعة كلها قد غرقت فى محيط من صمت بلا قرار، ومصابيح التصوير المبهرة تسطع فى وجهها، فارتبكت مغمغمة:

ــ هذا كل شىء .. أليس كذلك؟

لم تتلق جوابًا فى اللحظات الأولى، ثم هتف المخرج فى حماس:

ــ رائعة.

وراح يصفق فى حرارة، انتقلت بسرعة إلى الآخرين، واندفع الجميع نحو (مروة)، يهنئونها، ويبدون إعجابهم بموهبتها ..

فيما عدا (مؤنس) ..

كان نجاحها المبهر هذا ينتزع آخر أمل له ..

وكان عليه أن يعترف بهذا ..

وبين كل من التفوا حولها، بحثت عينا (مروة) عنه، حتى عثرتا عليه يقف فى الركن نفسه، صامتًا ساكنًا كما كان ..

وتعلقت عيناها به فى لهفة وترقّب ورجاء ..

وأدرك هو حاجتها إليه، فى هذه اللحظة بالذات، فأجبر نفسه على التحرّك نحوها، واخترق الحشد الملتفّ حولها، ووقف أمامها ..

ولثوان، تعلّق نظر كل منهما بالآخر فى صمت..

كانت نظراتها تسأله..

ونظراته تجيب..

ــ هل نجحت؟

ــ نعم.. نجحت فى الاختبار.

ــ لماذا تبدو حزينًا إذن؟

ــ أشعر وكأن حاجزًا جديدًا قد ارتفع بيننا.

ــ بل لقد تجاوزنا حاجزًا قديمًا.

ــ أتظنين هذا حقًا؟

ــ ستثبت لك الأيام أننى على حق.

دار هذا الحوار بينهما فى صمت، دون أن تنبس شفاههما ببنت شفه، قبل أن يقول هو فى خُفوت:

ــ مبارك.

مدّت يدها إليه فى لهفة، فالتقط أصابعها فى رفق، وسألته هى:

ــ هل أعجبتك؟

أجبر نفسه على الابتسام مشجّعًا، وهو يقول:

ــ كنت رائعة.

هتف المخرج فى حماس:

ــ بل قل موهوبة.. صدقنى يا رجل.. لن يمضى شهر واحد، حتى تصبح زوجتك أشهر فتاة إعلانات فى (مصر) كلها.

تطلّع إليه (مؤنس) فى صمت، ثم عاد ينظر إلى زوجته، وتراجع فى بطء، وغادر المكان فى صمت..

ما من شكّ فى أن (مروة) قد نجحت تمامًا فى الاختبار.

فلماذا يشعر بكل هذا الحزن؟..

هل يغار من نجاحها؟

أفزعته الفكرة، فناقشها فى أعماقه بقلق، ولكنه لم يتوصل إلى قرار فى هذا الشأن..

تُرى ما سر حزنه حقًا؟..

حاول أن يتجاهل الفكرة، وهو يتجه إلى مكتبه، ولكنه لم يستطع؛ فقد كان كل شىء يجذبه جذبًا إلى ما حدث..

السكرتيرة (عزة) استقبلته بابتسامة كبيرة، وهى تقول:

ــ ألف مبارك يا أستاذ (مؤنس).. الجميع يؤكدون أن السيّدة (مروة) موهوبة.

همهم بكلمات مبهمة، وهمّ بدخول حجرته، ولكنها استطردت:

— (نوَّار) بك طلب رؤيتك فور عودتك.

كان هذا آخر شيء يرغب فى فعله، فى هذه اللحظة، إلا أنه اضطر إلى الذهاب لمكتب (نوَّار)، الذى استقبله هاتفًا:

— هل رأيت؟.. لقد كنت أنا على حق يا (مؤنس).. زوجتك موهوبة فى مجالنا.

غمغم (مؤنس):

— هذا واضح.

ربَّت (نوَّار) على كتفه فى حماس، وقال:

— ستحصل على خمسمائة جنيه فى الإعلان الواحد كبداية، وأراهنك أن أجرها سيرتفع إلى الضعف، فى أقلّ من عام واحد.. هل تراهن؟

أجابه (مؤنس) فى ضيق:

— لست أميل إلى المراهنات.

تطلَّع إليه (نوَّار) فى دهشة، قبل أن يقول:

— أيضايقك نجاح زوجتك؟

هزَّ (مؤنس) رأسه نفيًا، وقال:

— لا، ولكنه لا يسعدنى أيضًا.

سأله (نوَّار):

— أما زلت تعارض عملها فى مجال الإعلان؟

تنهَّد (مؤنس)، وأجاب:

— لم تعد هناك جدوى من معارضتى.. سبق السيف العزل.

كان يعلم، وهو ينطق عبارته هذه، أن انقلابًا هائلاً قد أصاب حياتهما، وأن الأمور لن تعود إلى ما كانت عليه.. أبدًا.

* * *



١٠ ـــ الثراء ..

اتضح نجاح (مروة) من أوَّل إعلان ظهرت فيه، على شاشات (التليفزيون). فلقد بهرت جاذبيتها النادرة المشاهدين، وخلبت لبهم من اللحظات الأولى، ولم يمض أسبوع واحد حتى تصدَّرت صورتها غلاف واحدة من أشهر المجلات الفنية المعروفة، وارتفع أجرها إلى سبعمائة جنيه فى الإعلان الواحد ..

بدأ المعلنون يطلبونها لأداء إعلاناتهم، فارتفع دخلها أكثر وأكثر، وصارت تربح فى الأسبوع الواحد، ما يربحه زوجها فى عام كامل ..

وخلال ثلاثة أشهر فحسب، سدَّدت (مروة) أقساط الشقة والأثاث، وابتاعت لابنها عشرات الثياب الأنيقة الغالية، وبدأت تخطط لشراء شقة أكبر، فى منطقة أكثر رقيا ..

كل هذا و(مؤنس) منعزل، منطو، يكتفى بمراقبة مايحدث، دون أن يتدخل فى عملها، أو يعترض على غيابها

الطويل، الذى صار يلتهم جلّ وقتها، على حسابه وحساب (أحمد) الصغير ..

والعجيب أن (مروة) لم تشعر بعزلة (مؤنس) وانطوائه ..

لقد جاء التحوّل فى حياتها، من الحاجة إلى الثراء، ومن الظل إلى الشهرة سريعًا بأكثر مما ينبغى، حتى أنه خلب لبّها، وبهرها، وأنساها كل ماحولها، ومن حولها ..

وأصبحت هناك فجوة كبيرة فى حياة (مؤنس)، حاول فى البداية أن يملأها بحبه لابنه (أحمد)، إلا أنه عجز عن هذا، فانكمش، وصار صموتًا، قليل الحديث، بعيدًا عن المشاركة الاجتماعية.

وكان يصرّ دائمًا على الإنفاق على المنزل من راتبه، ولكنه سرعان مايكشف عجز هذا الراتب عن تلبية مطالب (مروة)، التى راحت تنهل من الحياة فى شراهة، شأن كل من يبلغ الثراء، بعد طول فقر ومعاناة ..

الثياب التى تبتاعها كل شهر كانت تفوق دخله مرتين على الأقل ..

وهناك أدوات الزينة ..

والذهب ..

والمجوهرات ..

والفراء ..

إنها لم تعد زوجته الحنون المستكينة ..

لقد صارت نجمة ..

نجمة يشار إليها بالبنان ..

ومن بعيد، راح (مجدى) يراقب كل هذا بابتسامة شيطانية، وهو يدرك أن خطته تسير على ما يرام، وأن موعد الانتقال إلى الخطوة التالية قد حان ..

وذات يوم، بعد مرور ستة أشهر على عمل (مروة)، قرَّر (مجدى) الانتقال إلى خطوة حاسمة ..

وزار (مؤنس) فى مكتبه ..

واستقبله (مؤنس) فى ترحاب، بعد أن تحسَّنت علاقتهما فى الأشهر الأخيرة، وجلس (مجدى) على المقعد المقابل لمكتب (مؤنس)، وهو يسأله:

ــ كيف حالك يا صديقى؟

ابتسم (مؤنس) ابتسامة باهتة، وهو يقول:

ــ فى خير حال يا (مجدى) .. كيف حالك أنت؟

تظاهر (مجدى) بالقلق، وهو يقول:

ــ عجبًا!!.. إنك لا تبدو لى فى خير حال.. ماذا بك؟

تنهَّد (مؤنس)، وهو يقول:

ــ لا شىء.

مال (مجدى) نحوه، وسأله فى خُبث:

ــ أهو عمل (مروة)؟

كان يعلم أن هذا الأسلوب المباشر يقتحم الهدف بنجاح، وخاصة إذا ما كان الهدف ضعيفًا واهنًا على هذا النحو ..

ولقد أفلح أسلوبه ..

لم يكد يلقى سؤاله، حتى أومأ (مؤنس) برأسه إيجابًا، وقال:

ــ نعم.. إننى أكره عملها هذا.

تراجع (مجدى)، وهو يسأله:

ــ هل بدأت المشكلات المعتادة؟

سأله (مؤنس) فى حيرة:

ــ أية مشكلات؟

لوَّح (مجدى) بكفه، وهو يقول:

ــ ما يحدث عادة، عندما تصبح المرأة أكثر شهرة، وأعلى دخلاً من زوجها.

كانت صفعة مباشرة، فكأن جرح (مؤنس)، الذى مال نحوه، يسأله فى اهتمام قلق:

ــ ماذا يحدث فى هذه الحالة؟

هزَّ (مجدى) كتفيه، وقال:

ــ إنها تعتبر نفسها رب الأسرة، فتصدر الأوامر، وتحاول فرض آرائها.

قفز عقل (مؤنس) إلى عدة أحداث صغيرة ماضية، وتذكَّر كيف أصرَّت (مروة) على شراء ستارة زرقاء غالية الثمن لحجرة الصالون، على الرغم من اختياره لأخرى حمراء رخيصة الثمن، وكيف أصبحت تناقشه فى كل أمور حياتهما، بعد أن كانت تستكين لرأيه فى الماضى، وانعقد حاجباه فى توتر، وهو يقول:

ــ النساء ناقصات عقل ودين بالفعل.

أدرك (مجدى) أنه قد أصاب هدفه، فواصل بابتسامة ماكرة:

ــ ومن الخطر أن يخضع الرجل لهذا، وإلا انقلبت الأدوار، وفقد كرامته وسيطرته على منزله، وأى رجل ذى كرامة، لا يقبل هذا أبدًا.

ضرب (مؤنس) سطح مكتبه بقبضته، هاتفًا:

ــ بالطبع.

رفع (مجدى) سبَّابته أمام وجهه، وهو يقول فى حزم خبيث:

ــ هل تعلم ماذا أفعل، لو كنت مكانك؟

سأله (مؤنس) فى اهتمام:

ــ ماذا تفعل؟

أجابه فى حزم:

ــ أمنعها من العمل بالقوة.

تراجع (مؤنس) بحركة حادة، وهو يقول:

ــ بالقوة؟!

ثم صمت لحظات مفكرًا، قبل أن يقول فى تردّد:

ــ هذا الأسلوب لا يبدو حضاريًا.

قال (مجدى):

ــ وهل سيطرة المرأة على زوجها أمر حضارى؟

أجابه (مؤنس) فى حدة:

ــ لا.. إنها ليست كذلك بالطبع.

ثم شرد ببصره وتفكيره، وهو يستعيد أحداثًا رسمها ذهنه

المتوتر، تبرّر له غضبه من عمل زوجته، وتضع الأسباب المنطقية لما ينوى عمله، حتى أنه لم يشعر بانصراف (مجدى)، الذى غادر المكتب ووجهه يحمل ابتسامة كبيرة، تقول إن النصر صار قاب قوسين أو أدنى..

وأن (مروة) صارت أكثر قربًا إليه..

لقد أشعل النيران، وسيراقبها وهى تلتهم حُبّ (مؤنس) و(مروة) إلتهامًا..

وبعدها يمدّ يده ليلتقط (مروة)..

ويسحق (مؤنس) سحقًا..

* * *

استغرق التصوير وقتًا طويلًا، فى ذلك اليوم، فلم تستطع (مروة) العودة إلى منزلها، قبل العاشرة مساءً، ولم تكد تصل إليه حتى ألقت نفسها على أوّل مقعد صادفها، وابتسمت ابتسامة شاحبة منكهة، وهى تقول لـ(مؤنس):

ـ إننى مرهقة تمامًا اليوم، ولقد أسعدنى أنك أحضرت (أحمد) من منزل أمى.

تطلّع إليها مقطب الجبين، دون أن ينبس ببنت شفة، ولم تنتبه هى إلى التوتر، الذى يطلّ من كل خلجة من خلجاته، وهى تستطرد:

ـ لقد أرهقتنى المواصلات تمامًا.. ما رأيك لو ابتعنا سيارة؟

قال فى عصبية:

ـ دخلى لا يكفى لابتياعها فى الوقت الحالى

أجابته فى حماس:

ـ دخلى أنا يكفى.. إننى أحلم بامتلاك سيارة، منذ كنت طالبة فى المرحلة الثانوية.. يا إلهى!.. سأختارها حمراء، ذات مصابيح مربّعة، و...

قاطعها فجأة فى ثورة:

ـ كفى.

تطلّعت إليه فى ذهول، فاستطرد كبركان ثائر:

ـ لقد سئمت أسلوبك هذا.. إنكِ تتحدثين كما لو كنت صاحبة القرار هنا.. لا يا زوجتى العزيزة.. ما من رجل يقبل هذا.. إنك زوجتى، مهما بلغ دخلك، ومهما بلغت شهرتك، ومن واجب الزوجة أن تطيع زوجها، وأن تخضع لقراراته، مادامت لا تخالف الشرع أو القانون.. هل تفهمين؟

عجزت عن التغلب على ذهولها طويلًا، وهى تحدّق فى وجهه، قبل أن تهمس:

ـ ومن قال أننى أرفض هذا ؟

لوَّح بذراعيه فى غضب ، وهو يهتف :

ـ كل شىء حولنا يقول هذا .. لقد ابتلعكِ العمل تمامًا ، فلم نعد أنا وطفلك ننعم بوجودك ، إلا ساعات معدودة أسبوعيًا ، على عكس الوعود التى تلقيناها فى البداية ، وأصبحت تتجاهلين وجودى وقراراتى بلا مبالاة ، وكأننى لم أعد صاحب الحق فى إصدار القرار ، لمجرَّد أننى صاحب الدخل الأقل .

ثم أشار إليها بأصابع مرتجفة من شدة الغضب ، وهو يستطرد :

ـ لقد راجعت كل هذا ، ووجدت أن حياتنا تتحطَّم ، وليس هناك سوى سبيل واحد ، لتفادى حدوث هذا .

سألته وقلبها ينتفض قلقًا :

ـ ما هو ؟

عقد ساعديه أمام صدره فى صرامة ، وهو يقول :

ـ أن تتركى العمل .. فورًا .

اتسعت عيناها فى ذعر واستنكار ، وهى تهتف :

ـ أترك العمل ؟!

أجابها فى حدة :

ـ نعم .. تتركين العمل .. أريدك أن تعودى إلينا زوجة ، وأمًّا .. لقد سئمت غيابك المستمر عن المنزل ، وإهمالك لطفلك ، الذى أصبح أكثر ارتباطاً بأمك منك .

قالت متوتِّرة :

ـ ولكن هذا العمل يؤمِّن لنا دخلًا مناسبًا .

صرخ :

ـ فليذهب هذا الدخل إلى الجحيم .

انفجر الصغير باكيًا ، عند هذه النقطة ، فهبَّت (مروة) من مقعدها ، واندفعت نحو حجرته ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لقد أفزعت (أحمد) .

كانت الدماء تغلى فى عروقه ، حتى أنه من المستحيل أن يتوقَّف الآن ، ولكنه ضغط على أعصابه بكل ما يملك من قوته ، وشعر أنه يكاد ينفجر ، واكتنف رأسه صداع مؤلم ، فاندفع نحو باب الشقة ، وغادر المكان كله ، وهو يصفق الباب خلفه فى عنف ..

ومع صفقة الباب ، انتفض قلب (مروة) بين ضلوعها ..

ماذا حدث ؟..

ما الذى أصاب (مؤنس)؟..

أهى المسئولة حقًا عن هذا؟..

اعتصر الحزن نفسها، وهى تسترجع ما حدث منذ لحظات، وانحدرت من عينيها دمعة ساخنة، ألهبت وجنتيها، ثم سقطت على وجه صغيرها، فنفضها عنه باهتزازة ضعيفة، جعلتها تمسحها بأناملها فى حنان، وهى تهمس:

— أأنا مخطئة حقًا يا صغيرى؟.. من المؤكَّد أنك تفتقدنى، ولكن ماذا أفعل؟.. إنها طبيعة عملى.. لقد قبلت هذا العمل من أجلك.. هل تذكر هذا يا صغيرى؟

استعاد ذهنها ذكرى تلك اللحظات المؤلمة، عندما كاد صغيرها يلقى حتفه، بسبب افتقارهما للمال..

تذكَّرت شحوبه..

وأنفاسه اللاهثة المتقطعة..

وعينيه الغائرتين..

ولم تحتمل استمرار الذكريات، بل نفضتها عن رأسها فى عنف، وهى تضمّ صغيرها إلى صدرها فى قوة، هاتفة:

— لا يا صغيرى.. لن أترك هذا العمل.. لن أتركه أبدًا

* * *

انتاب (مؤنس) شعور خانق بالضياع، عندما غادر منزله غاضبًا، بعد مشاجرته مع (مروة)..

لقد كشف فجأة أنه بلا أصدقاء..

لقد سرقته دوَّامة العمل مبكرًا، حتى أنه ابتعد دون أن يدرى عن أصدقاء الماضى، وزملاء الدراسة..

ثم أصبح كل وقته لعمله وبيته..

كان يجد فى عمله الإشباع العملى اللازم، ويجد فى منزله الراحة النفسية والعاطفية، حتى أنه لم يعد يحتاج إلى زملاء أو أصدقاء..

والآن يجد نفسه ضائعًا..

لا يجد الإشباع، أو الراحة، أو الأصدقاء..

فقد كل شىء بغتة..

ودون وعى منه، اتجه نحو الانسان الوحيد، الذى تربطه به علاقة ما، فى هذه الآونة..

إلى (مجدى)..

ولقد أدهش هذا (مجدى)، وفجَّر فى أعماقه شعورًا عارمًا بالظفر، جعله يستقبل (مؤنس) فى حرارة مبالغة، ويشدّ على يده فى قوة، وهو يهتف:

— تفضّل يا (مؤنس) .. كم يسعدنى أن تزورنى فى مكتبى .. أتعلم أنها أوّل مرّة؟

أجابه (مؤنس) فى خفوت:

— لكل شيء أوان.

أدرك (مجدى) من النظرة الأولى، أن (مؤنس) يمر بأزمة نفسية عنيفة. فسأله فور جلوسه:

— ماذا هناك؟.. إنك تبدو حزينا بائسًا

ابتسم (مؤنس) ابتسامة شاحبة، وقال:

— يدهشنى أنك تقرأ أعماق بهذه السرعة والسهولة يا (مجدى).

ابتسم (مجدى) فى خُبث ساخر، وهو يقول:

— هكذا الحال بين الأصدقاء.. أليس كذلك؟

أومأ (مؤنس) برأسه إيجابا، دون أن ينبس ببنت شفه، فسأله (مجدى) فى خُبث:

— أهى مشكلة عمل (مروة)؟

أومأ (مؤنس) برأسه إيجابا، وقال:

— نعم يا (مجدى).. لقد تشاجرنا بشأن هذا، وأنا مصرّ على أن تترك العمل.

برقت عينا (مجدى)، وهو يقول:

— وهل تظن أنها تستطيع تركه؟

هتف (مؤنس) فى غضب:

— لابد وأن تتركه.. هذا العمل يدمر حياتنا.

ثم لوّح بقبضته، مستطردًا فى عنف:

— ستتركه أو تتركنى.. لن أترك لها خيارًا آخر.

ازداد بريق عينى (مجدى)، واسترخى فى مقعده، وابتسامة ظافرة شريرة تعلو شفتيه..

لقد اقتربت ساعة النصر..

اقتربت كثيرًا.

* * *



١١ ــ أنا .. أو العمل ..

تطلّع (نوّار) إلى (مجدى) لحظات فى دهشة، ثم هزّ رأسه فى حيرة، وتراجع مسندًا ظهره إلى مقعده، ومشبكاً أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يقول:

ــ لم أعد أفهمك فى الواقع يا (مجدى) بك.. لقد أقنعتنى فى البداية بدفع (مروة) للعمل كفتاة إعلانات، ووعدتنى بزيادة حجم تعاقدنا، لو نجحت فى هذا، وبعدها رفضت أن تعمل (مروة) فى إعلانات شركتك، وطلبت منى تأجيل ذلك.

رفع (مجدى) سبّابته أمام وجهه، وهو يقول:

ــ ولكننى دفعت الزيادة، التى وعدت بها.

أومأ (نوّار) برأسه موافقًا، وقال:

ــ هذا صحيح، ولكنك تطالبنى الآن بألّا تعمل (مروة) فى إعلانات شركتك قط، على الرغم من نجاحها المدهش فى هذا المجال، فما الذى يعنيه هذا اللغز؟

ابتسم (مجدى) فى دهاء، وهو يقول:

ــ الأمر ليس لغزًا كما تتصوّر ياسيّد (نوّار).. الحقيقة أننى زميل دراسة لـ(مروة)، كما سبق أن أخبرتك، وصديق لزوجها (مؤنس) كذلك، وهذا يجعلنى أشعر بالحرج، من عملها فى إعلانات شركتى بالذات.

هتف (نوّار) مستنكرًا:

ــ بالحرج؟!.. أى حرج يا (مجدى) بك؟! إنها فتاة إعلانات محترفة الآن، وعملها يحتم عليها قبول أى إعلان، بغض النظر عن الأمور الشخصية.

كاد (مجدى) ينفجر ضاحكًا، ولكنه تماسك أمام (نوّار)، وهو يقول:

ــ ولكننى أفضّل عدم عملها فى إعلاناتى، وهذا قرار نهائى.

تنهّد (نوّار)، وهزّ كتفيه، قائلًا:

ــ كما يحلو لك.

نهض (مجدى) من مقعده، وهو يسأله فى اهتمام:

ــ هل تعمل (مروة) الآن؟

أومأ (نوّار) برأسه إيجابًا، وقال:

ـ نعم .. إنها داخل قاعة التصوير منذ نصف الساعة ، فاليوم موعد تصوير إعلان شركة الاستثمار العالمية .

غادر (مجدى) مكتب (نوّار) ، واتجه على الفور إلى قاعة التصوير ، ووقف داخلها يراقب (مروة) ، التى بدت شديدة الشحوب والإرهاق ، وهى تؤدى دورها فى هذا الإعلان ..

ولأوّل مرة ، منذ عملها فى هذا المجال ، اضطر المخرج لإعادة التصوير ثلاث مرات ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لا يا (مروة) .. من الواضح أنك غير مؤهلة للتصوير اليوم .. سنؤجل كل هذا إلى الغد .

كادت تبكى ، وهى تقول :

ـ معذرة .. لقد أرهقنى طفلى أمس ، فلم أنعم بنوم كاف ، و ...

قاطعها المخرج متعاطفًا :

ـ لا عليك يا (مروة) .. كل منا تمرّ به أيام فاشلة .. هيا .. سنعيد التصوير غدًا ، وسيكون كل شىء على ما يرام بإذن الله .

شكرته فى خفوت ، واتجهت نحو باب الخروج ، ولكن (مجدى) استوقفها قائلاً :

ـ كيف حال أشهر فتاة إعلانات فى (مصر) .

التفتت إليه ، وأدهشها وجوده داخل قاعة التصوير ، ولكنها أجبرت شفتيها على الابتسامة فى شحوب ، وهى تقول :

ـ أهلاً يا (مجدى) .. كيف حالك ؟

أجابها مبتسمًا :

ـ فى خير حال .. لقد أردت رؤية نجمة الإعلانات وهى تعمل .

غمغمت فى مرارة :

ـ لقد اخترت أسوأ أيامى للأسف .

هتف فى حماس مفتعل :

ـ ولكنك كنت رائعة .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

ـ صدقينى يا (مروة) .. نصف فتيات ونساء (مصر) يحسدن فتاة اسمها (مروة) ، صارت أشهر وجه على الشاشة .

غمغمت :

ـ أشكرك .

أجابها فى حماسه الزائف :

ـ لست أجاملك .. إنك رائعة بحق ، ولو أننى فى موضعك ما تركت هذا العمل أبدًا ، مهما كان الثمن .

تمتمت فى أسى :

ـــ من يدرى ؟

قال فى حسم :

ـــ لا يا (مروة) .. إنك محظوظة بالفعل، والفرصة الجيِّدة لا تأتى للمرء سوى مرة واحدة، فى عمره كله، ولو أهملها أو أساء استخدامها، فسيشعر بالندم حتى نهاية عمره.

استمعت إليه مشدوهة، فقد كان يردِّد نفس ما يدوِّر فى أعماقها منذ أمس، فتطلّعت إليه لحظة فى صمت، ثم قالت :

ـــ معذرة يا (مجدى) .. سأنصرف الآن، فالجو حار هنا، و...

لم تجد ماتكمل به عبارتها، فاندفعت مغادرة المكان، وشيّعها هو بابتسامة شيطانية ظافرة ..

لقد صار انتصاره قريبًا ..

قريبًا جدًا ..

* * *

سمع (مؤنس) دقات رقيقة على باب مكتبه، فرفع وجهه المرهق عن أوراقه، وقال :

ـــ ادخل .

فوجىء بـ(مروة) تدلف إلى حجرته بوجه شاحب، وتغلق الباب خلفها فى خفوت، ثم تتطلّع إليه فى صمت، فقال وقد سرى التوتر فى نفسه :

ـــ أهلاً يا (مروة).

اقتربت من مكتبه، وسألته فى صوت خافت :

ـــ أين قضيت ليلتك أمس ؟

تنهَّد وأجاب :

ـــ فى فندق صغير.

سألته فى مرارة :

ـــ لماذا ؟

أشاح بوجهه، قائلاً :

ـــ لم أحتمل قضاء الليل فى المنزل.

مالت نحوه، وهمست فى ألم :

ـــ ماذا أصابنا يا (مؤنس) ؟.. أى حاجز جديد هذا، الذى يرتفع بيننا ؟.

التفت إليها بحركة حادة، وقال :

ـــ أنت المسئولة عن هذا الحاجز.

تراجعت هاتفة :

ــ أنا ؟!
هبّ من خلف مكتبه، وهو يومىء إليها بسبّابته صائحا :
ــ نعم .. أنت المسئولة .. تشبثك بهذا العمل السخيف هو الذى يصنع ذلك الحاجز الجديد بيننا .
فقدت أعصابها أيضًا، وهتفت :
ــ أنت تعلم لماذا قبلت هذا العمل ؟
لوّح بذراعيه، هاتفًا :
ــ لقد انتهت الظروف، التى أجبرتك على قبول العمل .. انتهت كل الأقساط، وأصبح مرتبى كافيًا، وأنا و (أحمد) نحتاج إلى وجودك، بأكثر مما يحتاج إليه عملك .
هتفت فى غضب :
ــ ومن أنهى هذه الأقساط، أليس دخلى أنا ؟
لم تكد تنطقها، حتى هوى قلبها بين ضلوعها ..
كيف أفلتت منها هذه العبارة ؟..
كيف طعنته بها على هذا النحو ؟..
وتمنت لو أنها استطاعت استعادتها، ومحوها من ذهنه ..
ولكن هيهات ..
هكذا الكلمات ..

إنها أقوى من الرصاصات ..
ولكن من يدرك هذا ؟! ..
الرصاصة يمكن انتزاعها من الجسد، وجروح الخلايا يمكن أن تلتئم، دون أن تترك خلفها أدنى أثر ..
ولكن الكلمة تبقى، ولا تندمل ..
ولقد أصابت عبارة (مروة) (مؤنس) فى الصميم ..
وارتجف قلبها، عندما رأت عينيه تتسعان فى استنكار، وشفتيه ترتجفان، ووجهه يشحب ..
وعندما تكلّم، أتت الكلمات مرتجفة، معتصرة، مقهورة، غاضبة، مريرة، وهو يقول :
ــ ستستعيدين كل قرش دفعته ثمنًا للأقساط يا (مروة) .
كادت تبكى ندمًا، وهى تقول :
ــ (مؤنس) .. إننى لم أقصد أن ..
قاطعها فى غضب صارم :
ــ إنتهى الأمر يا (مروة) .. لم يعد هناك مجال للاعتذارات والمهاترات .
ثم أشار إليها بسبّابته متابعًا :
ــ إننى أضعك أمام خيارين، لا ثالث لهما يا (مروة) ..
إما أن تتركى العمل، أو ...

أطلّ غضب الدنيا كلها من عينيه، وهو يستطرد:

ـــ أو تتركينني أنا.

ارتجفت فى ذهول، غير مصدّقة ما سمعته، وهى تهتف:

ـــ أتركك ؟!

صاح وقد أعماه الغضب:

ـــ نعم يا (مروة).. لقد حانت لحظة الاختيار.. اتركى العمل الآن، أو ينتهى كل ما بيننا.

صمتت كالمصدومة، وهى تسترجع كل ما مرّ بهما من أحداث..

استرجعت حبهما..

خطبتهما..

زواجهما..

معاناتهما..

مولد (أحمد)..

مرضه..

واستقرَّت فى أعماقها تلك الذكرى الأخيرة، مختلطة بصوت (مجدى)، وهو يقول:

ـــ لو أننى فى موضعك ما تركت هذا العمل أبدًا، مهما

كان الثمن.. إنك محظوظة بالفعل، والفرصة الجيِّدة لا تأتى للمرء سوى مرة واحدة فى عمره كله، ولو أهملها، أو أساء استخدامها، فسيشعر بالندم، حتى نهاية عمره.

وارتجفت، و(مؤنس) يهتف فى ثورة:

ـــ هيا.. اتخذى قرارك الآن.

تفجَّرت كل العوامل فى نفسها، وقالت فى حدة:

ـــ لا يا (مؤنس).. لا يمكننى أن أترك هذا العمل.

كانت تتوقع منه مناقشة أو احتدادًا، ولكنها فوجئت به يصرخ:

ـــ إذن أنت طالق يا (مروة).. طالق.

اتسعت عيناها فى ذهول، وكاد قلبها يتوقف عن النبض، وهى تقول:

ـــ طالق ؟!

صرخ:

ـــ نعم.. طالق.. لقد اخترت العمل، فهنيئًا لك به.

تفجَّرت الدموع من عينيها، وتراجعت فى رعب، حتى التصق ظهرها بالباب، ثم استدارت تفتح الباب، وانطلقت تعدو إلى الخارج..

أما (مؤنس)، فقد تجمّد فى مكانه كالتمثال ..

كيف فعل هذا؟..

كيف طلقها؟..

كيف حطّم بكلمة واحدة قصة حُب طويلة كقصتهما؟..

وصرخ عقله أنها هى المخطئة ..

هى التى اختارت عملها، على حسابه وحساب ابنه ..

هى التى رفضت تجاوز هذا الحاجز ..

الحاجز الأخير، الذى تحطّمت عليه الأمواج ..

أمواج الحب.

* * *



١٢ ـ الضياع ..

«إنه يغار منك ..»

هتف والد (مروة) بهذه العبارة فى غضب، ولوّح بذراعيه فى عصبية، مستطردًا:

ـ إننى أعرف هذا النوع من الرجال، الذى يكره تفوق زوجته، ويحاول تحطيم نجاحها بأية وسيلة، حتى لا يشعر أمامها بالعجز والضعف.

صاحت به أمها:

ـ كفى .. لا تزد النيران تأجُجًا واشتعالًا.

هتف محنقًا:

ـ أية نيران؟.. لقد طلقها.. ألا تفهمين؟. طلقها منذ أسبوع كامل، لم يحاول خلاله الاتصال بها أو بنا مرة واحدة.

وضرب المنضدة بقبضته، مستطردًا فى سخط:

ـ كان ينبغى أن نجبره على توقيع قائمة بالأثاث، قبل زفاف (مروة) إليه .. كان يمكننا الآن أن نكسر أنفه بها، ونجرّده من كل مقعد فى المنزل.

صاحت زوجته:

ــ وتنتزع بهذا آخر أمل فى عودتها إليه.

صرخ:

ــ عودتها؟!.. أتظنيننى أقبل عودتها إليه، بعد ما فعله؟

هتفت فى غضب:

ــ هل تفضّل بقاءها هنا، وتفضّل أن يشبّ (أحمد) مع أم مطلقة، وأب يزوره كل أسبوع؟.. هل تجد هذا أفضل؟

صاحت بهما (مروة) فى انهيار:

ــ كفى.. أرجوكما أن تكفا عن مناقشة هذا الأمر.. أرجوكما.

عقد والدها حاجبيه فى غضب، وقال وهو يلوّح بكفه:

ــ إنه شأنك على أية حال.

وغادر الحجرة محنقًا، فى حين عادت (مروة) إلى البكاء فى حرارة، وهى تضمّ طفلها إليها..

لم تكن قد توقّفت عن البكاء، طوال الأسبوع السابق تقريبًا..

كان طلاقها يؤلمها، ويمزّق نياط قلبها بحق..

لم تكن تصدّق بعد أن الأمور قد بلغت بهما هذا الحد..

لم تصدق أبدًا أن يعجزا عن تجاوز حاجز، مهما بلغت قوته، وبلغ ارتفاعه..

إنها ماتزال تحبه، من أعماق قلبها..

تحب (مؤنس)، الذى منحها دائمًا عطفه، وحنانه، ورقته، وعنايته، واهتمامه.

ما الذى أصابه؟..

ما الذى أصابها؟..

بل ما الذى أصابهما؟..

وتطلّعت إليها أمها مشفقة، قبل أن تجلس إلى جوارها، وتربّت على كتفها، مغمغمة:

ــ كفى يا بنيتى.. كفى.. لقد سكبت عيناك دموع الدنيا كلها، فى الأسبوع الماضى.

بكت على كتف أمها، وهى تقول:

ــ لماذا فعل بى هذا يا أمى؟

تنهّدت أمها، وقالت:

ــ من يدرى يا بنيتى.. ربما كنت أنت السبب فى هذا.

رفعت عينيها إلى أمها، هاتفة:

ــ أنا؟!

أومأت أمها برأسها إيجابا فى بطء، وقالت :

ــ لم لا تعترفين بجزء من الحقيقة يا (مروة).. لقد أهملت طفلك ومنزلك بحق.. أنا نفسى شعرت بهذا.. فى البداية كنت تحضرين (أحمد) إلى هنا مرتين أسبوعيًا على الأكثر، وتعودين بعد ساعتين ملتهبة شوقًا ولهفة إليه، ثم أصبحت تحضرينه أربع أو خمس مرات، وطالت فترات فراقك له.. إننى لا أشكو من وجوده، فأنت تعلمين كم أحبه، ولكننى أشير إلى إهمالك واجباتك نحوه، ونحو زوجك بالتبعية، وعليك أن تعترفى بهذا يا (مروة)، وإلا خسرت كل شىء.

بكت (مروة) مرة أخرى، وهى تقول :

ــ ولكننا كنا فى حاجة إلى هذا المال يا أماه.

ربتت أمها على كتفها مرة أخرى، وقالت :

ــ لقد انتهت حاجتكما الملحة إليه، حسبما أعلم.

ثم تنهدت مرة أخرى، وتابعت :

ــ اسمعينى جيدًا يا (مروة).. أفضل ما تحوزه المرأة، فى أى زمان ومكان، هو زوج جيد، يحبها، ويغمرها بعطفه وحنانه.. لا تجعلى نجاحك كفتاة إعلانات يخدعك يا بنيتى، فسرعان ما يمل المشاهدون وجهك، مهما بلغت ملاحته

وجاذبيته، وتظهر نجمة أخرى، تحتل مكانك، وتسلبك نجاحك.. وسيحدث هذا آن عاجلًا أو آجلًا.. على الأقل مع تقدمك فى السن.. عندئذ ستفقدين النجاح والمال والشهرة، ولا يتبقى لك سوى الزوج المحب الحنون، والأسرة السعيدة المترابطة.. هذا لو حافظت على وجودهم.. صدقينى يا بنيتى.. إنك الآن فى مفترق الطرق، وزوجك رجل رائع، نبش الصخر بأظافره، حتى يظفر بك، وهو حلو المعشر، عف اللسان، رقيق، حنون، كريم، وكل امرأة فى الدنيا تحلم بزوج مثله، وعليك أن تحسمى أمرك، وتتخذى قرارك.. أيهما تريدين.. النجاح والشهرة والمال، أم (مؤنس).. فكرى يا بنيتى، واتخذى قرارك.

نهضت وتركتها تعاود البكاء..

نعم.. إنه مفترق طرق..

وقرار..

* * *

لم يشعر (مؤنس) فى حياته كلها بالضياع، مثلما شعر فى هذا الأسبوع، الذى مر به كالدهر، بعد أن طلق (مروة).. لقد فقد بطلاقها قلبه، وحبه، وحياته كلها..

أصبح كمن يحيا فى خواء وفراغ ..
فى دنيا بلا بشر ..
بلا عواطف ..
بلا مشاعر ..
حتى عمله أصبح يؤديه فى روتينية ومرارة ..
كل شىء فقد معناه ..
وهدفه ..

وفى ذلك اليوم، وهو يجلس فى مكتبه، كاد يبكى وهو يستعيد ذكريات حبه مع (مروة) ..

بل لقد ترقرق الدمع فى عينيه بالفعل، وكادت دمعة تنحدر على وجهه، لولا أن سمع دقات على باب مكتبه، فأسرع يمحو دموعه، وهو يقول بصوت متحشرج:

ـ ادخل.

رأى السكرتيرة (عزة) تدلف إلى حجرته، وهى تفرك كفيها فى توتر، فسألها فى ضيق:

ـ ماذا هناك يا (عزة)؟

لم يكن مستعدًا للحديث مع أى شخص، فى هذه اللحظة، ولكن (عزة) أثارت انتباهه بتوترها، وهى تقول:

ـ هل يمكننى التحدث معك؟

سألها:

ـ أهو أمر خاص بالعمل؟

ترددت لحظة، وقالت:

ـ بل هو أمر خاص بك .. أو بالسيدة (مروة)، لو أردت الدقة.

عقد حاجبيه، وهو يسألها:

ـ هل طلبت منك محادثتى فى أمر ما؟

هزت (عزة) رأسها نفيًا، وقالت:

ـ لا يا أستاذ (مؤنس) .. إننى لم ألتق بزوجتك، منذ انصرفت من هنا باكية .. إنما الأمر يتعلق بـ .. بـ ..

ارتبكت فى شدة، عندما بلغت هذه النقطة، فأشار إليها بالجلوس، وهو يقول فى اهتمام بالغ:

ـ اجلسى يا (عزة) .. اجلسى وأخبرينى ما لديك.

لم تكد (عزة) تجلس، على المقعد المقابل لمكتبه، حتى انفجرت باكية، وراحت تقول:

ـ لست أدرى كيف فعلوا هذا بك وبها .. لماذا فعلوه؟ .. لماذا؟

التهبت أعصابه فى شدة، وسألها فى توتر بالغ:

ــ أفصحى عما لديك يا (عزة).. ماذا تعنين بكل هذا؟

ظلت تنتحب لحظات، ثم جففت دموعها بأصابعها، وهى تقول:

ــ إننى صديقة لـ(سالم)، مدير أعمال (مجدى) بك.

سألها فى حيرة:

ــ وما شأن هذا بى، وبـ(مروة)؟

أجابته:

ــ لقد التقيت بـ(سالم) أمس، وكانت حالته النفسية سيئة للغاية، وأخبرنى أنه ترك العمل مع (مجدى)؛ لأن ضميره لم يعد يحتمل كل هذا، وعندما سألته عما يعنيه، قص علىَّ أمرًا رهيبًا، يتعلق بك وبزوجتك.

سألها وهو يرتجف:

ــ أى أمر هذا؟

عاودت البكاء، وهى تقول:

ــ سأخبرك يا أستاذ (مؤنس).. سأخبرك بكل شىء.

وبدأت تروى ما سمعته من (سالم)..

* * *

تأمل والد (مروة) ذلك الشاب الوسيم، الجالس أمامه فى حجرة الصالون، وتساءل: أين رآه قبل هذا، وهو يسأله:

ــ تقول إنك زميل ابنتى فى الدراسة.. هل حصلت على شهادتك فى العام نفسه؟

ابتسم الشاب، الذى لم يكن سوى (مجدى)، وقال فى لهجة تحمل طنًا من الغرور والزهو:

ــ لم تعد الشهادات تهم، فى هذا الزمن يا عماه.. إنه زمن الثراء والأثرياء، ألا توافقنى على هذا؟

مطَّ (والد) (مروة) شفتيه، وقال:

ــ لا يمكننى موافقتك عليه يا ولدى، فالشهادة ليست مجرَّد ورقة نحصل عليها.. إنها دليل على الثقافة والذكاء والعلم.

أطلق (مجدى) ضحكة سخيفة، وقال:

ــ كان هذا فيما مضى يا عماه، أما الآن، فالشهادة مجرَّد ورقة، لا تساوى حتى ثمن الحبر المكتوبة به.

فضَّل الوالد عدم الخوض فى هذا الأمر، فقال:

ــ ربما يا ولدى.. ربما.. المهم.. هل أتيت من طرف زوجها؟

هزَّ (مجدى) رأسه نفيًا، وقال:

— لا يا سيِّدى .. أنا أعلم أن (مؤنس) طلقها، وأنه لا ينوى إعادتها إلى عصمته، وهذا ما أتى بى.

عقد الوالد حاجبيه فى حيرة، وهو يقول:

— لماذا أتيت إذن يا ولدى؟

مال (مجدى) نحوه، ووضع على شفتيه ابتسامة واثقة، وهو يقول:

— أتيت أطلب يد ابنتك .. يد (مروة)..

وكانت مفاجأة حقيقية..

* * *



١٣ — المواجهة ..

اقتحم (مؤنس) مكتب (نوَّار) فى عنف، جعل هذا الأخير يقفز من مقعده، قبل أن يهتف فى حنق:

— ماذا دهاك يا (مؤنس)؟.. كيف تقتحم مكتبى هكذا؟

اقترب منه (مؤنس) فى خطوات سريعة، وقال:

— معذرة يا سيِّدى، ولكن لدى سؤالًا بالغ الأهمية، يحتاج إلى جواب عاجل ومباشر، وسيتوقَّف عليه مصير أسرة كاملة.

هتف (نوَّار):

— يا إلهى!.. أى سؤال هذا؟

مال (مؤنس) نحوه، وهو يسأله:

— من اقترح أن تعمل (مروة) فى عالم الإعلانات؟

ارتبك (نوَّار)، وقال:

— زوجتك موهوبة فى هذا المجال يا (مؤنس)، و...

قاطعه (مؤنس):

ـ من صاحب الاقتراح يا سيدى؟
ازدرد (نوّار) لعابه، وهو يجيب:
ـ إنه (مجدى) بك.
اعتدل (مؤنس)، وهو يقول فى غضب:
ـ (مجدى)؟
لوّح (نوّار) بكفه، وقال فى توتر:
ـ كان صاحب الفكرة منذ البداية، ولقد عرض زيادة حجم التعاقد بيننا، مقابل أن تعمل (مروة) فى إعلانات شركته، ولكنه تراجع بعد موافقتها على العمل، وأصرّ على عدم عملها فى إعلاناته بالذات.. صدقنى.. لست أفهم لماذا فعل هذا؟
عقد (مؤنس) حاجبيه فى غضب، وهو يقول:
ـ ولكننى أنا أفهم يا سيّدى.
واندفع مغادرًا المكتب بنفس العنف، فاتسعت عينا (نوّار)، وهو يهتف:
ـ ماذا أصابه؟.. هل أصيب بالجنون؟
ظهرت (عزة) على باب مكتبه، وهى تقول:
ـ لو أنك فى موضعه، لهان أمر الجنون، بعد كل ما أصابه يا سيّدى.

سألها فى دهشة:
ـ وماذا أصابه؟
أجابته فى مرارة:
ـ سأخبرك يا سيّدى.. سأخبرك ماذا أصابه؟
وانحدرت على وجنتها دمعة، وهى تستطرد:
ـ وأراهن أنك لن تصدّق ما ستسمعه منى.. لن تصدقه أبدًا.

* * *

حدّق والد (مروة) فى وجه (مجدى) لحظات فى دهشة، قبل أن يغمغم:
ـ تطلب يد ابنتى؟!
أجابه (مجدى) فى ثقة:
ـ نعم يا سيّدى.. إننى أطلب يدها بكل فخر، وأعدك أن تحيا معى فى نعيم دائم، وسعادة أبدية، و...
قاطعه والد (مروة):
ـ ليست هذه هى المشكلة يا ولدى.
سأله (مجدى) فى حدة:
ـ ما المشكلة إذن؟

هزَّ الوالد كتفيه، وهو يقول:

ــ المشكلة هى أن هذا المطلب سابق لأوانه .. إن (مروة) ما تزال فى فترة العدة، ويمكن لزوجها ردها إلى عصمته فى أية لحظة، ولا يمكننا مناقشة أمر زواجها من آخر، قبل هذا.

قال (مجدى) فى عصبية:

ــ يمكنك أن تسألها على الأقل.

صمت الوالد لحظة، ثم قال:

ــ أسألها عن ماذا؟.. إنها مسألة شرع ودين.

هتف (مجدى):

ــ سلها عما إذا كانت توافق بى زوجًا أم لا، وبعدها يمكننا تدبير الأمر، حتى تنتهى عدتها .. هيا .. ارسل فى طلبها.

ظهرت (مروة) عند الباب، فى اللحظة نفسها، وهى تقول:

ــ أنا هنا بالفعل يا (مجدى).

نهض (مجدى) يصافحها فى حرارة، وهو يملأ وجهه بابتسامة واثقة، وقال فى لهفة:

ــ لقد سمعت حديثنا .. أليس كذلك؟

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت:

ــ نعم .. لم أكن أقصد هذا، ولكننى سمعته.

اتسعت ابتسامته الواثقة، وهو يقول:

ــ هذا يجعل الأمر أسهل إذن .. ما رأيك فى الزواج منى؟ أنت تعلمين أننى أحبك منذ زمن طويل، وسأقدّم لك شبكة رائعة، تثير حسد الجميع، وأؤثث منزلاً فاخرًا فسيحًا، وستعيشين معى وسط ثراء لا تحلمين به.

قالت فى هدوء.

ــ ليست هذه هى المشكلة يا (مجدى).

هتف فى لهفة:

ــ أعلم أنك تريدين مواصلة العمل فى الإعلانات .. لا بأس .. لست أعارض عملك هذا .. بل سأشجعك على الاستمرار فيه، و ...

قاطعته فى حدة:

ــ اسمعنى يا (مجدى) .. أرجوك.

قال مبتسمًا:

ــ حسنًا .. كلى آذان صاغية.

ازدردت لعابها، قبل أن تقول:

ــ إننى أدرس كل ما حدث، منذ أسبوع كامل

يا (مجدى) ، ولقد حسمت أمى الأمر . عندما ناقشتنى فيه بوضوح وصراحة ، ووضعت القضية الحقيقية أمام عينىَّ .. لقد ارتفع حاجز سميك بينى وبين (مؤنس) .. عجزنا عن تجاوزه ؛ لأن كل منا كان يحاول تحطيمه من جهة معاكسة للآخر ، فهزمنا الحاجز ، وتسبب فى طلاق .

قال (مجدى) :

ــ ستنسين بسرعة .

أشارت إليه بالصمت ، وهى تتابع :

ــ وكان من الضرورى أن أتخذ قرارًا حاسمًا فى هذا الشأن ، وأن أعرف جيدًا ماذا أريد .. (مؤنس) أم العمل .

سألها مبتسمًا فى ثقة :

ــ وماذا اخترت ؟

أجابته فى حسم :

ــ (مؤنس) .

سقطت شفته السفلى فى ذهول واستنكار ، وحدق فى وجهها ، وهى تتابع :

ــ إننى أحب (مؤنس) يا (مجدى) ، ولا يمكننى التخلى عنه أبدًا ، مهما حدث ، ومهما كان الثمن .. سأتخلى عن

العمل ، وأعود إلى جوار زوجى . زوجة محبة مخلصة حنون ولن يرتفع بيننا حاجز آخر . لن أسمح بحدوث هذا قط

سألها (مجدى) ، وشياطين الغضب كلها تتقافز فى وجهه

ــ أتعنين أنك ترفضين الزواج منى ؟

أومأت برأسها إيجابا ، وهى تقول :

ــ أنت شاب ناجح يا (مجدى) ، ولكننى ..

قاطعتها صفعة قوية ، هوت على وجهها كالقنبلة ، وجعلتها تطلق صرخة ذعر وألم ، واختلطت بصرخة (مجدى) :

ــ أيتها الحقيرة !

حدقت فى وجهه بذهول ، وهب والدها واقفا ، وهو يهتف :

ــ كيف تجرؤ ؟

ولكن (مجدى) لم يعد يسمع أحدا ، أو يدرك حتى ما يفعله ..

لقد تحول إلى شعلة من الغضب ، لا تبقى ولا تذر ..

وانفجر فى وجه (مروة) ، صارخا :

ــ كيف ترفضيننى أيتها الحقيرة ، بعد كل ما فعلته لأصل إليك ؟! . لقد أقنعت (نوار) بدفعك إلى العمل كفتاة

إعلانات، وحرصت فى كل يوم على تعميق الفجوة بينك وبين (مؤنس).. أتتصوّرين أن أفعل كل هذا، حتى ترفضيننى هكذا بكل بساطة.

هتفت كالمصعوقة:

ــ أنت يا (مجدى)؟! أنت فعلت كل هذا؟

أمسك كتفيها فى قوة، وهو يصرخ:

ــ ما من إمرأة يمكنها رفضى، بعد كل هذا.. هل تفهمين؟

صاحت فى انهيار:

ــ اتركنى يا (مجدى).. اتركنى أيها الحقير.. أى شيطان يقبع فى أعماقك؟ أى شر نبت فى عقلك وقلبك؟ ألا تبالى بتدمير حياة الآخرين؟ ألا يستيقظ ضميرك مرة واحدة، فى عمرك كله؟

صرخ كثور هائج:

ــ فليذهب كل هذا إلى الجحيم.. لقد فعلت كل ما فعلت من أجلك، ولن أخرج من هنا بدونك.

صاح والدها، وهو يحاول تخليصها من بين يديه:

ــ هل جننت يا رجل؟

دفع والدها فى عنف، وهو يصرخ:

ــ ابتعد.

وارتفع صراخ أُمها، وهتاف (مروة)، وبكى (أحمد) فى ذعر..

ثم فجأة، أمسكت يد صارمة قوية كتف (مجدى)، وارتفع صوت (مؤنس) الغاضب، وهو يقول:

ــ لِمَ لا تواجهنى أنا أيها القذر.

التفت (مجدى) بسرعة إلى (مؤنس)، وهتفت (مروة):

ــ (مؤنس).. حمدًا لله.. حمدًا لله.

وبكل الغضب الرابض فى أعماقه..

وكل الثورة المشتعلة فى عقله..

وكل الكراهية الملتهبة فى قلبه..

بكل هذا هوى (مؤنس) بقبضته على فك (مجدى)..

ودفعت اللكمة (مجدى) إلى الخلف، وارتطم بمقعد كبير، وسقط معه أرضًا..

وألقت (مروة) نفسها بين ذراعى (مؤنس)، وهى تهتف:

ــ حمدًا لله أنك وصلت فى الوقت المناسب يا (مؤنس).. حمدًا لله.. لن تصدق ما عرفناه منذ قليل.

ضمها إليه، وهو يقول:

ـ لقد عرفتَ كل شيء يا (مروة). حدثتني (عزة)، وتأكَّدت من (نوَّار).. ولقد أسرعت إلى مكتب هذا الحقير، لأؤدبه على ما فعل، ولما لم أجده هناك، توقَّعت أن يكون هنا.

نهض (مجدى)، وقد فقد هندامه وأناقته، وسال خيط من الدم فى طرف شفتيه، وصاح فى ثورة:

ـ لن تربح معركة معى أبدًا يا (مؤنس).. لا تتصوَّر أنك قد هزمتنى.. احتفظ بزوجتك السخيفة هذه، وأقسم أن أحطم مستقبلك.. سأدفع (نوَّار) إلى فصلك.. سألغى تعاقدى معه لو رفض.. سأحطمك.. هل تسمعنى؟

ضمَّ (مؤنس) قبضته فى غضب، وهو يقول:

ـ اخرج من هنا يا (مجدى).. أخرج قبل أن أحطم فكك هذه المرة.

تحرَّك (مجدى) نحو الباب، وهو يصرخ:

ـ قلتَ لك لن تربح.. سأحطمك.. سأحطمك تمامًا.

لم يكد يفتح الباب، حتى ارتطم بـ(نوَّار)، فصاح:

ـ ها هو ذا مديرك.. هيا يا (نوَّار).. افصله.. ألقه فى عرض الطريق.. حطم مستقبله.. هيا.. افعل أو أنه تعاقدنا.

رفع (نوَّار) العقد المبرم بينهما أمام عينيه، وهو يقول فى صرامة:

ـ ابتعد.

ـ ها هو ذا عقدك يا (مجدى).

ومزَّق العقد فى حدّة، وألقاه فى وجه (مجدى)، مستطردًا:

ـ لا يشرِّفنى أبدًا أن تكون أحد عملائى، مهما بلغ حجم تعاقدك معنا.

لوَّح (مجدى) بذراعه فى ثورة، وصاح وهو يهبط فى درجات السلم:

ـ كلكم أغبياء.. أغبياء.. سأحطِّمكم جميعًا.. سأحطِّمكم.

هزَّ (نوَّار) رأسه فى أسف، وقال:

ـ مسكين.

قال (مؤنس) فى غضب:

ـ بل حقير.

أومأ (نوَّار) برأسه موافقًا، ثم التفت إلى (مروة)، وقال:

ـ إننى أدين لك باعتذار كبير.

أراحت (مروة) رأسها على صدر (مؤنس)، وابتسمت فى حُبّ، وهى تقول فى حنان، مختلسة النظر إلى وجه (مؤنس):

ـ لا تقلق يا سيِّد (نوَّار)، إننى على استعداد لأن أغفر

للعالم كله ، ما أساء به إلىَّ ، مهما بلغت هذه الإساءة ، لو غفر لى شخص واحد ، ما فعلته به .

ضمّها (مؤنس) إلى صدره فى حُب ، وهو يقول :

ــ سيفعل ، لو غفرت له بدورك .

وانحدرت دمعة فرحة من عين أُم (مروة) ، وابتسم والدها فى حنان ، وانتقلت ابتسامته إلى (نوَّار) ، وهم يراقبون (مؤنس) و (مروة) ، اللذين ذاب كل منهما بين ذراعى الآخر ..

ثم انحنت (مروة) تلتقط طفلهما ، وترفعه إلى (مؤنس) ، وكأنها تعلن اجتيازها لآخر الحواجز ، التى اعترضت طريقهما ..

وعودة الحب ..

حُبهما .

* * *

(تمت بحمد الله)



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



د. نبيل فاروق

الحاجز

لم يكن زواج (مؤنس) و (مروة) هينًا ، بل واجهتهما صعوبات عديدة ، وحواجز شتى ، نجحا معا فى تجاوزها ، حاجزًا بعد الآخر .. ثم ظهر (مجدى) .. ونبت حاجز جديد .. فماذا يحدث هذه المرة ؟ هل يتجاوزان هذه العقبة ، أم يتحطَّم حبهما ، عند هذا الحاجز ؟ ..



الثمن فى مصر ١٢٥ مـ
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم